أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم

للأطفال

الشيخ
محمود المصري أبو عمار

مكتبة الصفا

أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم

لِلأطفال

أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم

لِلأطفال

الشيخ

محمود المصري أبو عمار

مكتبة الصفا للنشر والتوزيع

تليفون ٢٥١٤٧٣٢٠ تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع: ٢٠١٠/١٩٦٥٥

مكتبة الصفا
للنشر والتوزيع

أولاد الحاج عويس أمين صالح

١٢٧ ميدان الأزهر، أمام الجامع الأزهر، القاهرة ت ٢٥١٤١٧٣٢٠
أدرب الأتراك، خلف الجامع الأزهر ت ٠١٠١٤٣١١١٤ - تليفاكس ٢٥١٤١٩١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فالإسلام هو دين الهدى والنور، الذى لا سعادة للبشرية ولا أمن لها، ولا سعادة فى الدنيا والآخرة، إلا عندما تهتدى بهداه، وتستضىء بنوره، مخلصة فى عبوديتها لله الخالق، تأتمر بأمره، وتتبع منهجه، نابذة كل منهج من المناهج الأرضية المخالفة له.

والأولاد أمانة فى أعناق الوالدين، والوالدان مسؤولان عن تلك الأمانة، والتقصير فى تربية الأولاد خلل واضح، وخطأ فادح؛ فالبيت هو المدرسة الأولى للأولاد، والبيت هو اللبنة التى يتكون من أمثالها بناء المجتمع، وفى الأسرة الكريمة الراشدة التى تقوم على حماية حدود الله وحفظ شريعته، وعلى دعائم المحبة والمودة والرحمة والإيثار والتعاون والتقوى: ينشأ رجال الأمة ونساؤها، وقادتها وعظماؤها.

والولد قبل أن تربيه المدرسة والمجتمع، يربيه البيت والأسرة، وهو مدين لأبويه فى سلوكه الاجتماعى المستقيم.

ومكتبة الصفا تقوم بدورها فى توعية المجتمع بواجباته الدينية والاجتماعية كما تعودت دائمًا، فبعد أن وفقها الله لطباعة ونشر القرآن الكريم، ونشر كتب التفسير والحديث.

ونشر كتب الداعية الكبير فضيلة الشيخ «محمود المصرى».

نقدم اليوم درة تضاف إلى مطبوعاتنا وهو كتاب «أخلاق الرسول ﷺ للأطفال» لفضيلة الداعية محمود المصرى.

استطاع فيه - حفظه الله - أن يتحدث مع الأطفال بلغة عصرية جميلة.

يعلمهم فيه أصول دينهم، عن طريق القصص والحكايات.

وستـرى أخى القارئ الكريم مـدى السلاسة والسـهولة التى تميـزت بها عبارات هذا الكتاب حتى يناسب عقول رجال المستقبل.

ونعدكم أخى الـقارئ الكريم بمزيد من المطبـوعات فى كافـة المجالات، التى نرجو من الله عز وجل أن يتقبلها مـنا قبولاً حسنًا وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد للـه رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محـمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتبة الصفا

جعلها الله منارًا لخدمة العلم والدين

إهداء

*** إلى أمى الحبيبة :**

عندما أريد أن أتكلم عن الأخلاق فلا أستطيع أن أنسى أبدًا أمى الحبيبة التى تعلمت على يديها أخلاق الرسول ﷺ فقد كانت تحب الرسول ﷺ من أعماق قلبها وكانت تتعايش مع أخلاقه فى كل همسة من حياتها . . . فقد كانت أكثر الناس حلمًا وعفوًا وصبرًا وتوكلاً وصدقًا وأمانة وبشاشة ورحمة وإحسانًا وحياءً وتواضعًا وإخلاصًا .

أسأل الله أن يرحمك رحمة واسعة يا أحب الناس إلى قلبى بعد النبى ﷺ وأصحابه .

*** إلى ابنتى الحبيبة: رودينا :**

إلى زهرتى الجميلة الصغيرة التى ملأت الدنيا بعبير ابتسامتها وبراءتها ونقائها . . والتى جاءت لتروى هجير حياتى بطهرها وعبيرها وضيائها .

أسأل الله (عز وجل) أن يجعلك من العابدات القانتات وأن يملأ حياتك بالسعادة والسرور وأن يجعل لك فى قلوب المؤمنين وُدًّا وأن يجمعنى بك فى الفردوس الأعلى .

* * *

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣).

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار، وبعد:

فإن المؤمن، بلا شك يريد أن يكون محبوبًا لدى الخالق وأيضًا محبوبًا لدى الخلق.

ولن يكون ذلك إلا إذا كان هذا المؤمن يتحلى بأخلاق الرسول ﷺ

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

الذى قال الله عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١].

ومن أجل ذلك كان لابد أن نتعلم جميعًا أخلاق الرسول ﷺ.

* * *

* حبايبى الحلوين: لابد أن نعلم أن الإسلام دعوة أخلاقية مؤسسة على حُسن الخلق.

- فحسن الخُلق هو الأمر الذى يقوم عليه الإسلام... بل هو الإسلام. ولذا قال سيد الأنام ﷺ: «**إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[٢].

- وحُسن الخُلق هو الذى يجمع لنا جميع الأقوال والأفعال التى جاء بها النبى ﷺ.

- ولذا لما سأل النواس بن سمعان رضي الله عنه النبى ﷺ عن البر والإثم قال له النبى ﷺ: «**البر حُسن الخلق والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطَّلع عليه الناس**»[٣].

* وعندما نتعايش مع أخلاق النبى ﷺ سنجد حسن الخلق لا يقتصر على مجرد البسمة الحانية والكلمة الطيبة فقط... كلا.

- بل سنجد أن حُسن الخلق يشتمل على:

حُسن الخلق مع الله... حُسن الخلق مع رسول الله ﷺ...

حُسن الخلق مع كتاب الله - جل وعلا -... حُسن الخلق مع الملائكة... حُسن الخلق مع الناس.

- فحُسن الخُلق كلمة جامعة لكل ذلك.

* فأما حُسن الخلق مع الله فذلك بأن نحقق العبودية لله ولا نشرك به

---

(١) سورة القلم: الآية: (٤).

(٢) صحيح: رواه البخارى فى الأدب المفرد (٢٧٣)، وأحمد (٨٧٢٩)، من حديث أبى هريرة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٤٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٥٣) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث النواس بن سمعان.

شيئًا وأن نمتثل للأمر والنهى وذلك بأنه إذا جاء الأمر من عند الله فليكن شعارنا: سمعنا وأطعنا... وإذا جاء النهى من عند الله فليكن شعارنا: سمعنا وانتهينا.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (١).

* وأما حسن الخلق مع رسول الله ﷺ فذلك بأن نحبه ونتبعه ونمتثل أمره ﷺ ولا نُقدم بين يدى الله ورسوله ﷺ ولا نرفع أصواتنا فوق صوت النبى ﷺ.

* وأما حُسن الخلق مع كتاب الله - جل وعلا - فذلك بأن نقرأه ونتدبره ونعمل بما فيه ونتحاكم إليه فى كل صغيرة وكبيرة.

* وأما حُسن الخلق مع الملائكة فذلك بأن يعلم كل واحد منا بأن معه ملائكة لا تفارقه وتكتب عليه كل أقواله وأعماله فيتولد عنده الحياء من أن يفعل معصية يكتبها عليه الملك الموكل بذلك.. بل يحرص على فعل الحسنات التى تقربه من الله - جل وعلا -.

* وأما حُسن الخلق مع الناس فذلك بأن تكون طليق الوجه رحيمًا متسامحًا ليِّنًا فى دعوتك مع البَر والفاجر ولكن من غير مداهنة فقد قال الله تعالى لموسى وهارون - عليهما السلام - حينما أمرهما بالذهاب إلى فرعون لدعوته إلى التوحيد: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (٢)... فأنت لست أفضل من موسى وهارون - عليهما السلام -... ومَن تدعوه ليس بأخبث من فرعون.

* * *

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٦).

(٢) سورة طه: الآية: (٤٤).

حبايبى الحلوين:

وبعد كل هذا الذى ذكرته... فمن أراد منكم أن يكون من الفائزين فى الدنيا والآخرة فعليه أن يتحلى بأخلاق الرسول ﷺ فهو أسوتنا وقدوتنا ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع أخلاق الرسول ﷺ.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

عمو / محمود المصرى

أبو عمار

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٢١).

النبى ﷺ يحض الأمة على حُسن الخلق

وها هو الحبيب المصطفى ﷺ صاحب الخُلق الرفيع يحض الأمة على أن تتحلى بحسن الخلق.

* عن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخُلق حسن»(١).

وقال ﷺ: «أثقل شىء فى الميزان: الخلق الحسن»(٢).

وقال ﷺ: «أثقل شىء فى ميزان المؤمن خُلق حسن، إن الله يُبغض الفاحش المتفحش البذى»(٣).

وقال ﷺ: «أحبُّ عباد الله إلى الله أحسنهم خُلقًا»(٤).

وقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم»(٥).

وقال ﷺ: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل،

---

(١) حسن: رواه الترمذى (١٩٨٧) كتاب البر والصلة، وأحمد (٢٠٨٤٧)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٦٩٥٠)، من حديث أبى الدرداء، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٣٤).

(٣) رواه ابن حبان فى صحيحه (١٢/٥٠٦)، والبيهقى فى سننه الكبرى (١٠/١٩٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٤١).

(٤) صحيح: رواه الحاكم فى المستدرك (٤/٤٤٣)، والطبرانى فى الكبير (٤/٤٤٣)، من حديث أسامة ابن شريك، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٩).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (١١٦٢) كتاب الرضاع، وأحمد (٧٣٥٤)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٨٤).

صائم النهار»[١].

* وسُئل النبى ﷺ فقيل له: يا رسول الله ما خير ما أُعطى الإنسان؟ قال: «حسن الخلق»[٢].

* عن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ قال لها: «إنه من أُعطى حظه من الرِّفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحُسن الخلق وحسن الجوار يعمرن الديار، ويزدن فى الأعمار»[٣].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة، فقال: «تقوى الله، وحسن الخلق». وسئل عن أكثر ما يُدخل الناس النار، فقال: «الفم والفرج»[٤].

* فإن كان أكثر شىء يُدخل الجنة: تقوى الله وحُسن الخلق فإن هناك نعمة عظيمة فى الجنة لا يفوز بها إلا صاحب الأخلاق الحسنة... فقد قال النبى ﷺ: «... أنا زعيم -أى ضامن- ببيت فى أعلى الجنة لمن حَسُن خُلقه»[٥].

* بل هناك نعمة أعظم فى الجنة لكل من كان يتحلى بأخلاق الرسول ﷺ وهى نعمة القرب من رسول الله ﷺ.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٩٨) كتاب الأدب، وأحمد (٢٣٨٣٤)، من حديث عائشة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٧٩٥).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٤٣٦) كتاب الطب، وأحمد (١٧٩٨٦)، من حديث أسامة بن شريك، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٢١).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٤٧٣١)، من حديث عائشة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥١٩).

(٤) حسن: رواه الترمذى (٢٠٠٤) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٤٢٤٦) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٤٧)، من حديث أبى هريرة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٧٧).

(٥) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٧٣).

قال ﷺ: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلىَّ وأبعدكم منى يوم القيامة: الثرثارون[١]، والمتشدِّقون[٢]، والمتفيهقون».

قالوا: يا رسول الله، ما المتفيهقون؟

قال: «المتكبرون»[٣].

* وفوق كل ذلك فإن صاحب الخُلق الحسن يفوز بمحبة الله ورضوانه... وكفى بها نعمة.

* * *

(١) الثرثارون: هم الذين يكثرون الكلام تكلفًا.

(٢) التشدق: التكلم بملء الفم إظهارًا للفصاحة.

(٣) حسن: رواه الترمذى (٢٠١٨) كتاب البر والصلة، من حديث جابر بن عبد الله، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٧٩١).

الأمـــانة

الأمانة

حبايبى الحلوين: ها هو أول خُلق من أخلاق النبى ﷺ يجب أن نتحلى به.. ألا وهو خُلق الأمانة.

وقد ذكرت الصدق والأمانة كأول خُلقين من أخلاق النبى ﷺ لأنه كان معروفًا قبل الإسلام بأنه الصادق الأمين.

* وما أجمل أن يكون المسلم صادقًا أمينًا.... فهو صادق مع الله (جل وعلا).. وصادق مع الناس من حوله.

وهو أمين فيما بينه وبين الله (جل وعلا).. وأمين مع كل الناس من حوله.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع خُلق الأمانة.

النبى ﷺ يُعلمنا خُلق الأمانة

وها هو النبى ﷺ الذى تولى الله (عز وجل) تربيته وتأديبه فكان أكمل الناس وأفضل الناس خُلقًا وأدبًا حتى اشتهر بين أهل مكة قبل الإسلام بأنه الصادق الأمين.

وكان أهل مكة يعرفون أمانة النبى ﷺ ويثقون فيه كل الثقة. فكل من كان يملك شيئًا ثمينًا يخاف عليه كان يودعه أمانة عند رسول الله ﷺ فكان النبى ﷺ يحافظ على كل الأمانات التى عنده رغم أن أصحابها كانوا يكفرون بالله ويحاربون رسول الله ﷺ ومع ذلك كان النبى ﷺ يحافظ على تلك الأمانات ويردها لأصحابها كاملة إذا طلبوها.

وعندما اشتد أذى المشركين بالنبى ﷺ وأصحابه وأذن الله له بالهجرة

إلى المدينة.. كان عند رسول الله ﷺ أمانات لبعض المشركين الذين يريدون أن يقتلوه.

فما كان من النبى ﷺ إلا أن طلب من على بن أبى طالب رضي الله عنه أن ينام مكانه ليلة الهجرة ليردَّ تلك الأمانات إلى أصحابها حتى لا يظن أحدٌ أن النبى ﷺ لم يحافظ على تلك الأمانات.

فقام علىٌّ رضي الله عنه بإعطاء تلك الأمانات لأصحابها كاملة فتعجب الناس من أن النبى ﷺ كان حريصًا على ردِّ تلك الأمانات إليهم رغم أنهم كانوا حريصين على قتله ﷺ.

* ولذلك كان النبى ﷺ يوصى المسلمين بأن يكونوا أُمناء فى كل شىء.

وكان يرتقى بأرواحهم إلى جنة الرحمن - جل وعلا-.

قال ﷺ: «اضمنوا لى ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة - وكان من بينها - وأدُّوا إذا ائتُمنتم... »[(١)].

وكان النبى ﷺ يأمرنا بأداء الأمانة حتى لو كان الناس من حولنا غير أمناء فقال ﷺ: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»[(٢)].

* وحذر النبى ﷺ من إضاعة الأمانة... وجعل خيانة الأمانة من علامات النفاق فقال ﷺ كما فى الصحيحين -: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان»[(٣)].

- وقال ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له»[(٤)].

---

(١) حسن: رواه أحمد (٢٢٢٥١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٧٠).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٥٣٥) كتاب البيوع، والترمذى (١٢٦٤) كتاب البيوع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٤٢٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣) كتاب الإيمان، ومواضع، ومسلم (٥٩) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه أحمد (١١٩٧٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧١٧٩).

نبى الله موسى (عليه السلام) القوى الأمين

* بل وهذا نبى الله موسى - عليه السلام - الذى لما خرج هاربًا من فرعون ووصل إلى ماء مدين فوجد امرأتين فسقا لهما خوفًا عليهما من مزاحمة الرجال ثم تولى إلى الظل ليستريح ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (١).

قال ابن عباس وشُريح القاضى أنها لما قالت: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ قال لها أبوها وما علمك بذلك؟ قالت له إنه رفع الصخرة التى لا يطيق حملها إلا عشرة رجال وإنى لما جئت معه تقدمت أمامه فقال لى كونى من ورائى فإذا اختلف علىَّ الطريق فاحذفى لى بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدى إليه.

أمانة نادرة

لما جلس سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه فى إيوان كسرى بعد الانتصار الساحق لجيوش المسلمين فى معركة القادسية، أمر بجمع الغنائم وحصرها، ليقسم على المجاهدين نصيبهم، ويرسل الباقى إلى بيت مال المسلمين، وبينما عماله يفعلون ذلك، إذا برجل عليه أثر المعركة يدخل عليهم حاملاً صندوقًا كبيرًا ثقيلاً، مملوءً بالجواهر والدرر والكنوز النفيسة، فوضعه بين يدى العمال، وهمَّ بالانصراف.

فقالوا له فى دهشة عجيبة: أين وجدت هذا الكنز الثمين؟

(١) سورة القصص: الآيتان: (٢٥-٢٦).

فقال: غنمته فى المعركة فى مكان كذا.. فقالوا: وهل أخذت منه شيئًا؟

فقال: هداكم الله.. والله إن هذا بما فيه، وجميع ما ملكته ملوك فارس، لا يساوى عندى قلامة ظفر، ولولا الله، ما رفعته من أرضه، ولا أتيتكم به.

فقالوا: من أنت أكرمك الله؟

فقال: لا والله، لا أخبركم لتحمدونى، ولكنى أحمد الله، وأرجو ثوابه، ثم تركهم ومضى، فأمروا رجلاً منهم أن يتبعه ليتعرف عليه، فلم يعرفه، فسأل عنه، فقالوا: هو زاهد البصرة «عامر بن عبد الله التميمى» رحمه الله.

فرحم الله هذا التابعى الجليل، ورضى الله عن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين.

جزاء الأمانة

يُحكى أن أحد الأمراء خرج فى يوم من الأيام من قصره ليطمئن على أحوال رعيته، فظل يسير ساعات طوال حتى اشتد به التعب فجلس يستريح تحت ظل شجرة، وبينما هو كذلك إذا بغلام قوى الجسم يسوق أغنامًا كثيرة أمامه.

فلما رآه الأمير استوقفه، وقال له: يا غلام، إن أغنامك سمينة ونظيفة، وأريدك أن تبيعنى واحدة منها، فقال له الغلام: إن الغنم ليست ملكى، ولو كانت ملكًا لى لأهديتك منها ما تريد، فقال له الأمير: إن سيدك لا يرانا الآن فأعطنى طلبى ولا تخف، فقال له الغلام: وماذا أقول لسيدى عندما أعود إليه؟!

فقال الأمير: قل له إن الذئب خطف واحدة وهرب.

غضب الراعى الأمين من قول الأمير، وقال له: وإذا صدقنى صاحب الغنم فماذا أقول لربى الذى يسمعنا ويرانا؟! اتركنى أيها الرجل لأرعى غنمى فى سلام، وساق الغُلامُ أغنامه أمامه فى عِزَّةٍ وإباء، فأعجب به الأمير، وقرر أن يسير خلفهُ، فلما وصلا إلى صاحب الغنم تقدم الأمير نحوه، وقال له: يا صاحب الغنم أريد أن اشترى منك هذا الغلام الأمين، وكل ما عندك من أغنام، فقال له صاحب الغنم: طلبك لا يُرد يا أمير البلاد، ثم نظر الأمير إلى الغلام، وقال له: يا بنى أنت حر لوجه الله، وهذه الأغنام هدية لك نظير أمانتك وإخلاصك[١].

وهذه قصة أخرى

كان ياما كان... كان هناك رجل فقير يعيش مع زوجته وأولاده فى مكة المكرمة... وكانت زوجته صائمة قائمة خاشعة لله (جل وعلا).

وفى يوم من الأيام اشتد الجوع بالزوج وزوجته فقالت له: اخرج والتمس لنا طعامًا حتى لا نموت من الجوع.

فخرج الزوج يبحث عن صديق يقترض منه مالاً فلم يجد... فدخل بيت الله الحرام وأمسك بأستار الكعبة وأخذ يدعو ويقول: اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عمن سواك.

وبينما هو خارج من الحرم إذ وجد كيسًا مغلقًا ففتحه فوجد به ألف دينار ففرح به وأخذه إلى زوجته ليسألها ماذا تريد من ألوان الطعام.

فقالت له الزوجة: ارجع إلى الحرم واسأل عن صاحب الكيس فإن هذا لا يحل لنا أن نأخذه.

فعاد الرجل إلى الحرم فسمع رجلاً ينادى: من وجد كيسًا صفته كذا وكذا؟

---

(١) الأمانة / أ. سلامه محمد سلامه (ص: ١١).

فقال له الرجل الفقير: أنا وجدت الكيس لكن أخبرنى عن المال الذى بداخله.

فقال له: إنها ألف دينار.

فقال الرجل الفقير: نعم إنها ألف دينار فخذ الكيس بارك الله فيك.

فقال له الرجل: بل هو هو لك هدية وخذ فوقه تسعة آلاف دينار أخرى ليكون معك عشرة آلاف دينار.

فتعجب الرجل الفقير وقال: أتسخر منى أم تتكلم بصدق؟

قال الرجل: والله أنا لا أسخر منك ولكنى أعمل عند رجل غنى فأراد أن يتصدق بهذا المال ولكنه يريد أن يطمئن أن المال قد وصل لمن يستحق... فقال لى: ضع ألف دينار فى كيس واتركه فى الحرم ثم نادِ بعد ذلك فإذا جاءك الذى أخذ الكيس وأعطاه لك فأعطه باقى الدنانير لأنه رجل أمين... والأمين يأكل ويتصدق على الناس فيكون بذلك قد وصل المال لمن يستحق.

فأخذ الرجل الفقير المال كله وأحضر الطعام لزوجته وأولاده واحتفظ لأسرته بجزء من المال وتصدق بباقى المال على إخوانه الفقراء من حوله.

قصة الملك والتاجر الأمين

كان ياما كان كان هناك تاجر أمين بمكة وكان يخرج كثيراً للتجارة بماله وبمال غيره؛ لأنه كان صادقًا أمينًا.

وفى مرة من المرات خرج بمال كثير.

فلقيه لص مُقنَّع معه سلاح.

فقال له اللص: ضع ما معك فإنى قاتلك.

قال: خذ المال ولا داعى لأن تقتلنى.

قال: أما المال فلى ولست أريد إلا دمك.

قال: أما إذا أبيت فدعنى أصلى أربع ركعات.

قال اللص: ما شئت.

فتوضأ، ثم صلى أربع ركعات، فكان من دعائه فى آخر سجدة أن قال: يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما تريد، أسألك بعزك الذى لا يُرام، وبملكك الذى لا يُضام وبنورك الذى ملأ أركان عرشك أن تكفينى شر هذا اللص يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى ثلاث مرات.

فإذا هو بفارس أقبل وبيده حربة قد وضعها بين أذنى فرسه، فلما بصر به اللص أقبل نحوه، فطعنه فقتله، ثم أقبل هذا الفارس إلى التاجر الورع الناسك، وقال له: قم، فقال التاجر: من أنت بأبى وأمى فقد أغاثنى الله بك اليوم؟

فقال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة دعوت بدعائك الأول فسمعت لأبواب السماء قعقعة، ثم دعوت بدعائك الثانى فسمعت لأهل السماء ضجة، ثم دعوت بدعائك الثالث، فقيل لى: دعاء مكروب فسألت الله أن يولينى قتله.

قصة زواج المبارك

كان يا ما كان... كان هناك شاب صالح تقى اسمه المبارك وكان عبدًا رقيقًا... وكان سيده يمتلك بستانًا جميلاً.

فقال له سيده: يا مبارك... أريدك أن تبقى فى البستان لترعاه وتحافظ عليه.

فذهب المبارك وبقى فى البستان أربعة أشهر.

وذهب سيده فى زيارة إلى البستان ومعه

جماعة من أصدقائه.

فقال للمبارك: أحضر لنا بعض التفاح والرمان والعنب.

فذهب المبارك وأحضر لهم بعض التفاح والرمان والعنب الذى لم ينضج بعد.

فتعجب سيده وقال له: يا مبارك ألا تعلم الفاكهة الحلوة من غيرها.

فقال المبارك: والله يا سيدى أنا لم آكل من البستان أى شىء منذ أن أرسلتنى... فلا أعلم الحلو من غيره.

فتعجب سيده وظن أنه يخدعه... فذهب إلى الجيران وسألهم عن ذلك فقالوا له: والله ما رأيناه يأكل ثمرة واحدة من البستان.

فعلم الرجل أن المبارك رجل صالح تقى أمين... فنادى عليه وقاله له: يا مبارك أريد أن أستشيرك فى أمرٍ خطير.

قال له المبارك: ما هو يا سيدى.

قال له سيده: أنت تعلم أنى أمتلك ثروة كبيرة وعندى ابنة واحدة وقد تقدم لخطبتها فلان وفلان... - من الأثرياء- فيا تُرى لمن أُزوجها؟

قال المبارك: يا سيدى... إن اليهود يُزوجون للمال والنصارى يزوجون للجمال والعرب للحسب والنسب وكان النبى ﷺ وأصحابه يزوجون للدين والتقوى فمن أى الأصناف أنت فزوِّج ابنتك من الصنف الذى تحبه.

فقال له سيده: أنا مع النبى ﷺ وأصحابه وسأزوج ابنتى من رجلٍ تقى... وتالله لم أجد أتقى لله منك فقد أعتقتك لوجه الله وزوجتك ابنتى.

- وتزوجها المبارك وأنجبت له ولداً سماه عبد الله وهو الذى أصبح بعد ذلك شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك.

* * *

صور الأمانة

* إن الأمانة التى أمرنا الله - تعالى - أن نحافظ عليها، ونؤديها لأصحابها لا تكون بحفظ أموال الناس فحسب، وإنما تكون فى أشياء أخرى كثيرة:

* فإن أعطاك أحد أى شىء حتى ولو كان رخيصًا، وقال لك احفظه لى وديعةً عندك حتى أطلبه منك فهو أمانةٌ.

* وحفظ أسرار الآخرين أمانةٌ.

* ونقل رسالة كلَّفك بها إنسانٌ كاملةً دون زيادةٍ أو نُقصان أمانةٌ.

* وأن تشهد فى موقفٍ ما بما رأيته بالضبط من غير تغيير أمانةٌ.

* والوقت أمانةٌ فلا نقضيه إلا فى كل ما هو مفيدٌ، ولا نُضيِّعه فيما يُغضب الله.

* وأداء العبادات التى كلَّفنا الله بها كالصوم والصلاة هى أهم أمانة، فالصلاة عندما نُؤديها فى وقتها، ونتم ركوعها وسجودها باهتمام وخشوع دون تقصير أو إهمال نكون بذلك قد أدينا الأمانة.

* وعدم الغش فى البيع أو الشراء أمانة، والتاجر الأمين هو من ينصح المشترى، ولا يبيعه سلعة قبل أن يوضِّح له كل ما فيها، ولا يحاول أن يُخفى عيوبها، ويبتعد عن الغشِّ بكلِّ أنواعه.

قال رسول الله ﷺ: «... من غشنا فليس منا»[1].

* والمحافظة على المواعيد أمانةٌ، فإذا أعطيت زميلاً لك موعدًا باللقاء فعليك أن تذهب إليه فى الموعد المحدد بالضبط، ولا تتأخَّر أو تتخلَّف عن الموعد.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠١) كتاب الإيمان.

* وطلب العلم أمانةٌ، وإفادة الناس بما تعلَّمناه أمانةٌ.

* وجسم الإنسان أمانةٌ علينا أن نحافظ عليه، ولا نستخدمه إلا فى الخير وكل ما هو مفيد.

* وتأدية العمل بإتقان ودون إهمال أمانةٌ؛ فالتلميذ أمينٌ على دروسه وواجباته المدرسية، ولا يغشُّ فى الامتحان ولا يُغشّش غيره، والمُعلِّم أمينٌ على العلم والمتعلِّمين، والموظَّف أمينٌ على وظيفته وعليه مساعدة كل الناس دون إبطاء أو تقصيرٍ، والجندىُّ أمينٌ على وطنه يحافظ عليه من الأعداء، والأمُّ أمينةٌ على بيتها وتربية أولادها.

وكل ما يُكلَّفُ به الإنسان من عمل مفيدٍ له وللناس أمانةٌ عليه أن يُؤدِّيها[1].

فضل الأمانة

والأمانة لها فضائل كثيرة جدًّا... منها:

(١) أن الإنسان الأمين يحبه الله (جل وعلا) ويرضى عنه ويحبه الناس جميعًا.

(٢) أن الإنسان الأمين يكون موضع ثقة الناس من حوله فيتعاملون معه ويثقون فيه.. أما الإنسان غير الأمين فإن الناس لا يثقون فيه ولا يتعاملون معه.

(٣) أن انتشار الأمانة فى المجتمع يجعل الناس يثقون فيمن حولهم... وبذلك ينتشر الحب والأخوة والتعاون بين أفراد المجتمع.

(٤) الأمانة سبب فى تفريج الهموم.

ففى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم فى قصة الثلاثة الذين دخلوا

---

(١) الأمانة (ص: ٤-٥) - مكتبة سفير.

الغار وأغلقت الصخرة عليهم الغار فقام كل واحد من الثلاثة يتوجه إلى الله بصالح الأعمال ليفرج عنهم الصخرة.

فالرجل الأول تقرب ببره بوالديه.. والرجل الثانى تقرب بخشيته لله - جل وعلا- .. والرجل الثالث تقرب بأمانته.. فقال الرجل الثالث: «اللهم إنى استأجرت أُجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فثمرتُ أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءنى بعد حين فقال: يا عبد الله أد إلىَّ أجرى، فقلت: كل ما ترى من أجرك: من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بى، فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»[(١)].

(٥) الأمانة تجعل صاحبها من أهل الفردوس الأعلى فلقد أعدَّ الله للمسلم الأمين منزلة عظيمة فى الجنة وهى الفردوس الأعلى فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[(٢)]

احذر من السرقة والخيانة

ابنى الحبيب: وعليك أن تحذر من السرقة والخيانة.

فإذا ترك زميلك فى الفصل أدواته أو أمواله أو أى شىء من أغراضه فاحذر أن تأخذ منها أى شىء إلا بإذنه.

وإذا ترك والدك أمواله على مكتبه فاحذر أن تأخذ منها أى شىء إلا بإذنه.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٢٧٢) كتاب الإجارة، ومسلم (٢٧٤٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) سورة المؤمنون: الآيات: (٨-١١).

وهكذا... لا تأخذ أى شىء من ممتلكات الناس من حولك إلا بعد الاستئذان... وذلك لأن السرقة من الأخلاق السيئة التى نهانا عنها النبى ﷺ.

كما أن من أخذ أموال الناس ولم يردها إليهم فإنهم يأخذون يوم القيامة من حسناته.

قال النبى ﷺ: «**أتدرون من المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار. قال: «**إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم، فطُرحت عليه، ثم طُرح فى النار**»(١).

قصة عجيبة

فى يوم من الأيام دخل طفل صغير، لم يتعدَّ السادسة من عمره أحد المتاجر الكبيرة، ولم تلحظه كاميرات المراقبة لصغره وقصر قامته، وتوجَّه الطفل مباشرة نحو موظف الخزينة، ورفع مسدسًا كبيرًا فى وجهه، فتح صاحب المتجر الخزينة وأخرج ما بها من مال وكان مبلغًا كبيرًا، فطلب منه الطفل أن يضعه فى كيس، فوضعه صاحب المتجر فى كيس، ثم قدَّمه للطفل الذى خطفه وخرج مسرعًا إلى الشارع، ثم ركب دراجته وانطلق بها بعيدًا، وتمكن رجال الشرطة من الوصول إلى منزل الطفل وسألوا عنه، وقد وقف أبواه يستمعان فى ذهول إلى ما فعله ابنهما الذى دخل عليهما وهو يمسك فى يده «آيس كريم» ويلوك فى فمه لبانة... توجَّه إلى أقرب كرسى وجلس عليه دون أدنى مبالاة، وعندما سألوه عن أداة الجريمة -

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب.

المسدس الذى استخدمه فى السرقة - كانت المفاجأة التى أذهلت الجميع وأضحكتهم فى نفس الوقت، إنه مسدس مائى، كان يلعب به الصبى مقلداً أحد الأفلام السينمائية التى شاهدها، وكانت المفاجأة الثانية أنهم حينما سألوه عن النقود التى سرقها أجابهم بأنه أنفقها جميعها فى شراء الحلوى والآيس كريم واللعب. ترى ما السبب فى تلك الحادثة؟ إنه تقليد ذلك الطفل البرىء لأحد أبطال ذلك الفيلم السينمائى، فَلْنَر إلى أى مدى كان تأثير تلك الأفلام على أطفالنا؟[١].

* * *

(١) سلسلة الأخلاق للأطفال/ أ. حامد أحمد (ص: ٢٠٢-٢٠٣).

الصدق

الصدق

حبايبى الحلوين: وها هو خُلق من أعظم أخلاق الرسول ﷺ يجب أن نتحلى به.. ألا وهو خُلق الصدق.

* وما أجمل أن يكون المؤمن صادقًا... فالمؤمن لا يكذب ولماذا يكذب وهو يعلم أن الله يعاقب الكذابين فى الدنيا ويعذبهم فى الآخرة.

* وكيف لا يكون صادقًا وهو يعلم أن الصادق حبيب الرحمن وأن الله يحبه ويرضى عنه ويُدخله جنته.

* وكيف لا يكون صادقًا وهو يعلم أن أسوته وقدوته هو الحبيب محمد ﷺ الذى كان الناس يسمونه بالصادق الأمين.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع الصدق والصادقين.

الصدق فى الكتاب والسنة

إن الله - عز وجل- يحض عباده المؤمنين على أن يكونوا مع الصادقين.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾[٣].

* بل ويوضح الحق - جل وعلا- أن الصدق ينفع صاحبه فى الدنيا والآخرة ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٤]

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١١٩).

(٢) سورة الاحزاب: الآية: (٣٥).

(٣) سورة محمد: الآية: (٢١).

(٤) سورة المائدة: الآية: (١١٩).

* ومن ثم فإنه -سبحانه وتعالى- يحذرنا من الكذب فإن الكذب يشين صاحبه في الدنيا والآخرة... قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾(١).

- والآيات التي تحض على الصدق وتحذر من الكذب كثيرة كثيرة.

* أما عن الأحاديث التي تحض على الصدق وتحذر من الكذب فهي أيضًا كثيرة وسأكتفي بذكر بعضها.

* عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة»(٢).

وقال ﷺ: «أربعٌ إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وحسن الخلق، وعفة مطعم»(٣).

* بل ويرتقي النبي ﷺ بأمته إلى الجنة فيقول ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يُكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا»(٤).

وقال ﷺ: «اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة؛ اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم وأدوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم»(٥).

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٦٠).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٥١٨) صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٧٨١٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٧٨).

قوله: «يريبك» هو بفتح الياء وضمها، ومعناه: اترك ما تشك في حِلِّه، واعدل إلى ما لا تشك فيه.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٦٦١٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٧٣٣).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٩٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) حسن: رواه أحمد (٢٢٢٥١)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٤٧٠).

وقال ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة، لمن ترك المراء وإن كان محقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسُن خلقه»[١].

مظاهر الصدق

وللصدق مظاهر يتجلى فيها منها:

(١) في صدق الحديث:

فالمسلم إذا حدّث لا يحدّث بغير الحق والصدق، وإذا أخبر فلا يُخبر بغير ما هو واقع في نفس الأمر، إذا أن كذب الحديث من النفاق وآياته «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان»[٢].

(٢) صدق العزم:

فالمسلم إذا عزم على فعل ما ينبغي فعله لا يتردد في ذلك بل يمضي في عمله غير ملتفت إلى شيء أو مبالٍ بآخر حتى ينجز عمله.

(٣) صدق المعاملة:

فالمسلم إذا عامل أحدًا صدقه في معاملته، فلا يغش ولا يخدع ولا يزور ولا يغرر بحال من الأحوال.

(٤) صدق الوعد:

فالمسلم إذا وعد أحدًا أنجز له ما وعده به، إذ أن خلف الوعد من آيات النفاق.

(٥) صدق الحال:

فالمسلم لا يظهر في غير مظهره ولا يُظهر خلاف ما يبطنه.

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٤٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣) كتاب الإيمان، ومسلم (٥٩) كتاب الإيمان.

مظاهر الصدق فى حياة النبى ﷺ

لقد كان النبى ﷺ أصدق الناس جميعًا فى أحواله وأقواله وأفعاله.

- فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع بعض الصور المضيئة من الصدق فى حياة النبى ﷺ.

* فقد شهدت قريش له بأنه الصادق الأمين.. والفضل ما شهدت به الأعداء.

* وهذا هو أبو سفيان بن حرب، وكان من ألد أعداء النبى ﷺ، قبل إسلامه يوم الفتح، ومع هذا شهد بصدقه عندما أرسل إليه هرقل، وذهب إليه، ودعاه هو ومن معه إلى مجلسه، كان حوله عظماء الروم، ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى؟

فقال أبو سفيان: أنا أقربهم نسبًا، فقال: ادنوه، وقربوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لتُرجمانه: قل لهم: إنى سائله عن هذا الرجل، فإن كذبنى فكذبوه، . . . فوا الله لولا الحياء من أن يأثروا علىَّ كذبًا لكذبت عليه.

- وكان من بين الأسئلة التى سألها لأبى سفيان:

قال: فماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده لا شريك له، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة!

* بل لقد روى أن رجلاً من سادات قريش لقى أبا جهل فى أحد طرقات مكة فاستوقفه ثم قال له: يا أبا الحكم ليس هنا غيرى وغيرك. . . أنشدك بالله هل محمد صادق أم كاذب؟ فأجابه أبو جهل بكل صراحة، فقال: والله إن محمدًا صادق وما كذب قط.

* بل ها هى خديجة ﵂ عندما نزل الوحى لأول مرة على النبى ﷺ وجاء إليها ترتعد فرائصه وهو يقول: «زمِّلونى زمِّلونى»... وإذا بها لم تجد ما تُهدئ به روعه إلا أن قالت له: «كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتَصْدُق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق»(١).

الصدق منجاة

وها نحن نلتقى فى هذه اللحظة مع نجمٍ كبير فى عالم الأخلاق أتدرون من هو؟.. إنه النجم الكبير (الصدق).

* وها هو المذيع المتألق (بهاء الدين) يُجرى هذا الحوار مع (الصدق).

تتشرف جنة الأسرة فى مهرجان الجمال أن تشارك فى هذا الحفل الكبير الذى يضم عددًا كبيرًا جدًا من نجوم الجمال...

ومن بين هؤلاء النجوم تجرى جنة الأسرة هذا الحوار مع النجم المتألق (الصدق).

معكم المتألق المذيع بهاء الدين على الهواء مباشرة...

المذيع بهاء الدين: مرحبًا بضيفنا الغالى النجم الكبير (الصدق).

الصدق: مرحبًا بكم كم أسعد برؤيا أحبابى الصادقين فى كل مكان.

المذيع بهاء الدين: نريد أن نسأل نجمنا المتألق عن العمل الذى قدمه فى هذا المهرجان المنعقد سنويًا ليفوز بهذا اللقب «نجم الجمال»؟

الصدق: إن الجمال بهاء وحسن تسعد به النفوس وتقر به العيون، والجمال نوعان:

(١) جمال الفعل.

(٢) جمال الخَلق.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٩٥٤) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١٦٠) كتاب الإيمان.

ولكن جمال الفعل يدوم ويستمر وجمال الخَلق إذا ألفته العيون ملَّت منه القلوب فنحن جمال الأفعال لا تمل منا النفوس ولا تنفر منا القلوب..

من تحلى بنا كان جميلاً وتعلقت به القلوب ولو كان دميم الخلقة.

ومن أعرض عنا كان قبيحًا ولو كان جميل الخلقة.

لا سعادة ولا ارتياح فى النفوس بدوننا ولا سلام ولا أمن فى المجتمع فى غيابنا.

* * *

ومن جمالى أننى والنجاة أخوان لا نفترق أبدًا.

وقد تقدمت للجنة المهرجان بإثبات ذلك حتى قبلت منى عملى وأعطتنى لقب «نجم الجمال».

فقد نشأ أحد علماء السلف الصالح على الصدق حينما خرج من مكة إلى بغداد لطلب العلم أعطته أمه أربعين دينارًا يستعين بها على نفقته وعاهدته على الصدق.

فلما وصل إلى أرض همدان خرج عليه جماعة من اللصوص وأخذوا القافلة، فمرَّ واحد من اللصوص وقال له: ما معك؟ فقال: أربعون دينارًا.

فظن أنه يهزأ به فتركه فرآه آخر فقال له: ما معك؟؟

فأخبره بما معه فأخذه إلى كبيرهم فسأله فأخبره فقال له: ما حملك على الصدق؟ فقال: عاهدتنى أمى على الصدق فأخاف أن أخون عهدها!!

فأخذت الخشية رئيس اللصوص فصاح ومزق ثيابه وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله؟

ثم أمر بردِّ ما أخذوه من القافلة وقال: أنا تائب لله على يديك.

فقال من معه: كنت كبيرنا فى قطع الطريق وأنت اليوم كبيرنا فى التوبة....

فتابوا جميعًا ببركة الصدق.

المذيع بهاء الدين: نجمنا المتألق حقًا إنك جميل وجميل كل من تحلَّى بك.... فهل تقدم وصية لأصدقاء جنة الأسرة ليفوزوا بهذا الجمال؟

الصدق: أهدى لهم وصية رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدى إلى البر والبر يهدى للجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدِّيقًا... وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور والفجور يهدى إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا»[(١)]..

فإياكم أيها الأطفال الصغار...

من العدو القبيح (الكذب) فإنه والهلاك أخوان لا يفترقان[(٢)].

وكونوا مع الصادقين

دفع حب الاستطلاع عبد الرحمن لأن يعبث فى أوراق أبيه الموضوعة على المكتب، وفى أثناء ذلك بطشت يداه بكوب الشاى الموضوع على المكتب فانسكب على الأوراق وقد لوثها كلها ولم يترك منها ورقة واحدة..... يا إلهى.

ارتعد قلب عبد الرحمن خوفًا من بطش أبيه وعقابه له إذا اكتشف خطأه وابتعد عن المكتب سريعًا واختفى فى حجرته ينتظر ماذا سيحدث له؟

ورجع الأب من صلاة العصر بعد قليل ودخل حجرة مكتبه ليستكمل عمله، وهنا وجد المفاجأة... وجد أوراقه قد تناثرت هنا وهنالك وتلوثت كلها بالشاى المسكوب ولم تنجُ ورقة واحدة من هذا الفساد، وكم كانت أوراقًا مهمة لا يمكن تعويضها إلا بصعوبة... فأدرك الأب فى الحال أن

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٦٠٩٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب واللفظ له.

(٢) الصدق/ د. إبراهيم الشربينى (ص: ١٤-١٧).

هذا حدث بفعل فاعل. . . . . وحين هَمَّ أن يخرج من مكتبه ليبحث عن من فعل ذلك ليعاقبه أشد العقاب جاءه نداء الرحمن وآيات القرآن برداً وسلاماً على قلبه المشتعل غيظًا وحنقًا. . . .

قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (١).

فقال الأب مطمئنًا بذكر الله: «بلى يا ربى أحب أن تغفر لى».

فخرج من المكتب فى هدوء ثم توضأ ثم جمع أولاده وقَصَّ عليهم ما حدث له. . . . ثم هَمَّ أن يسألهم: . . . . فاندفع عبد الرحمن فى بكاء شديد وقال: سامحنى يا والدى أنا الذى أطعت الشيطان وفعلت هذا. . . . عاقبنى يا أبى أنا أستحق العقاب فأشفق الأب على ولده من هذا البكاء الشديد فقال: لا تخف يا عبد الرحمن لن أعاقبك ثم ضمَّه إلى صدره حتى هدأ وانقطع عن البكاء. . . . ثم قال له الأب: لن أعاقبك يا ولدى فلقد وعدت الله بذلك ولكن أخبرنى لِمَ فعلت ذلك؟

عبد الرحمن: يا أبى كنت أذاكر فأصابنى الملل فوسوس لى الشيطان أن أدخل مكتبك فى غيابك أشاهد الأوراق والكتب الموضوعة على المكتب، فطاشت يدى بكوب الشاى فانسكب على الأوراق وأتلفها كلها، فارتعدت خوفًا وأيقنت بعقابى، ففررت من المكتب وانعزلت فى حجرتى حتى أنى لم أكلم أحداً، وتعجب الجميع من ذلك. . . ثم جاءنى الشيطان مرة ثانية وقال لى إذا سأل أبوك من الذى فعل هذا فلا تخبره الصدق فإنه سيعاقبك، بل اكذب عليه فإن الكذب سينجيك. . . . وأخذ الصراع بداخلى يشتد بين خوفى من عقابك وخوفى من عقاب الله إذا كذبت ولكن تذكرت قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢).

---

(١) سورة النور: الآية: (٢٢).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١١٩).

فعزمت على أن أصدقك يا أبى ثم دعوت الله: «اللهم إنك أمرتنا بالصدق وأنت لا تأمرنا إلا بما فيه الصلاح والخير لنا وقد صدقت يا ربى فنجنى من عقاب أبى» . . . .

الأب تهلل مسروراً وقبّل ولده فرحًا ثم قال: صِدْقُك يا ولدى وإيثارك مرضاة ربك وطاعته خير عندى يا ولدى من كل الأوراق التى فسدت بل أعدك بهدية طيبة جزاء لك على صدقك.

إنها الحلوى التى تحبها ولكن تعدنى ألا تعبث فى ممتلكات غيرك مرة أخرى.

عبد الرحمن: أعدك يا أبى أعدك. . . . هيا يا أبى نذهب لشراء الحلوى.

فنظر إليه الأب متعجبًا.

ولكن لم يستطع أن يكتم ضحكه وضحك الجميع معه[1].

خطورة الكذب

كان ياما كان.

كان هناك شاب طيب متدين اسمه طارق وكان يعيش مع والدته التى يحبها من أعماق قلبه فهذا ابنها الوحيد وحبيبها الغالى فقد مات والده وهو طفل صغير وبقيت الأم مع طفلها الصغير طارق وظلت تربيه على الأخلاق الحميدة وعلى حب الدين حتى شبَّ وأصبح شابًّا متدينًا ومتفوقًا فى آنٍ واحد.

وتمر الأيام ويكبر طارق ويدخل كلية الطب ليصبح طبيبًا ناجحًا. . ويتخرج من كلية الطب بل ويحصل على درجة الماجستير ثم أراد أن يسافر إلى أوربا ليحصل على درجة الدكتوراه فكانت أصعب لحظة فى حياة الأم

---

(١) الصدق (ص٥-٧).

وابنها الوحيد الذى لم يفارقها أبداً.. وها هو الآن يحمل حقيبة سفره ليفارق أمه لأول مرة فى حياته.

ها هى الأم تبكى وهى تودع ابنها وتقول له: لا تنسَ أمك يا طارق...

وهو يبكى ويقول لها: لا أستطيع أن أنسى أمى حبيبتى أبداً.

* وسافر طارق.. والأم جالسة فى بيتها وحيدة تبكى ودموعها لا تجف لفراق ابنها الوحيد.

وظلت الأم تعد الأيام والليالى حتى يعود إليها ابنها الوحيد.

وفجأة جاءها تليفون من ابنها طارق يبشرها بأنه قد حصل على درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف وأنه سيعود إليها يوم الخميس بعد الظهر.

بكت الأم من الفرحة وأخذت تُهيئ نفسها لاستقبال ابنها الوحيد الذى غاب عنها كثيراً.

وبينما هى تنتظر ابنها الوحيد وتتخيل كيف تستقبل ابنها طارق وإذا بها تسمع جرس الهاتف.

نهضت الأم من على الأريكة وأسرعت لترفع سماعة التليفون وهى تعتقد أن الذى سيكلمها هو ابنها طارق ليخبرها بأنه قد وصل مطار القاهرة ولكن كانت المفاجأة أنها لما رفعت السماعة سمعت من يقول لها: أنت أم طارق؟

قالت: نعم.. أنا أمه.. ماذا حدث؟

قال: البقاء لله.. لقد مات ابنك الآن فى حادث سيارة وهو فى طريق العودة من المطار.

أُصيبت الأم بالذهول وسقطت على الأرض مغشيًّا عليها.

وفى تلك الأثناء كان أخوها قد جاء ليسلم على ابنها طارق فطرق على الباب فوجده مفتوحًا.. فدخل وإذا به يرى أخته مغشيًّا عليها فأخذها

وطلب لها سيارة الإسعاف. . وما إن وصلت إلى المستشفى حتى أخذوها إلى غرفة الإنعاش لينقذوا حياتها.

*وفى تلك الأثناء كان طارق ابنها قد وصل إلى مطار القاهرة وركب سيارة أجرة ليصل إلى المنزل فلم يجد أمه فيسأل الجيران فيخبروه أن رجلاً قد اتصل بأمه وكذب عليها وأخبرها بأنك قد مُت فى حادث سيارة فأخذها خالك إلى المستشفى وهى الآن فى غرفة الإنعاش.

فما كان من طارق إلا أن أخذ سيارته التى كانت أسفل العمارة وانطلق إلى المستشفى بسرعة جنونية فتنقلب به السيارة فيموت.

وتعلم جارتهم الخبر فتذهب لتخبر أم طارق بأن ابنها طارق لم يكن قد مات وأن الرجل الذى اتصل عليها كان يكذب عليها وأن طارق قد عاد إلى المنزل ولما علم الخبر أخذ سيارته ليأتى إليها فانقلبت به السيارة فمات.

فصعقت الأم من هول الصدمة وأُصيبت بسكتة قلبية وماتت فى التو واللحظة. . ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لا تكذب

كان يا ما كان. . . فى سالف العصر والأوان. . . كان هناك رجل يرتكب الكثير من الذنوب والمعاصى.

فلقد كان يشرب الخمر ويلعب الميسر (القمار) ويعق والديه ويكذب ويفعل أشياء أخرى كثيرة تُغضب الله (جل وعلا).

- وفى يوم من الأيام قرر هذا الرجل أن يتوب إلى الله وأن يترك المعاصى كلها وأن يعمل صالحًا ليرضى الله عنه ويُدخله الجنة التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

- أخذ هذا الرجل يحاول أن يترك المعاصى لكنه كان يعود إليها مرة

أخرى... وفي كل مرة يعود فيها إلى المعاصي كان يشعر بالحزن الشديد... وفجأة قرر أن يذهب لعالم من العلماء الأفاضل ليسأله: كيف يتخلص من هذه الذنوب والمعاصي.

- ذهب الرجل إلى عالم جليل وقال له: أيها الشيخ الفاضل!... أنا أفعل الكثير من المعاصي وأريد أن أتوب ولكن لا أستطيع فماذا أصنع؟ قال له العالم: إذا أردت أن تتوب توبة صادقة ولا ترجع مرة أخرى إلى المعاصي فسوف أخبرك عن الطريقة ولكن بشرطٍ واحد.

- قال له الرجل: ما هو الشرط؟

- قال له العالم: الشرط هو أن تكون صادقًا ولا تكذب أبدًا.

- قال له الرجل: أعاهدك على أن أكون صادقًا ولا أكذب أبدًا.

- ونصحه العالم مجموعة من النصائح الغالية وانصرف الرجل بعد أن عاهد الشيخ على أن يترك الكذب.

- وبعد فترة أراد الرجل أن يسرق جاره... وبعد أن عزم على ذلك تذكَّر أن السرقة حرام وأنه عاهد الشيخ على ألا يكذب... وأن الشيخ سوف يسأله: هل سرقت أم لا؟... فماذا سيقول له؟ فعاد ولم يسرق.

- ولما أراد أن يشرب الخمر تذكَّر أن الله حرم الخمر... وأنه عاهد الشيخ على ألا يكذب... وأن الشيخ سوف يسأله: هل شربت الخمر أم لا؟ فماذا سيقول له؟... فترك الخمر.

- وهكذا كلما فكر أن يفعل أي ذنب تذكر أن الله حرم ذلك... وأنه قد عاهد الشيخ على ألا يكذب... فكان ذلك سببًا في أن يترك المعاصي.

* * *

عاقبة الكذب

كان يا ما كان. . . كان هناك طفل اسمه تامر وكان يعيش مع أسرته فى بيت جميل على شاطئ البحر.

وكان تامر يكذب دائمًا على والديه وإخوته وأصدقائه وكانت أمه تقول له دائمًا: لا تكذب يا تامر فالكذب حرام.

وإن الله سيعاقبك على هذا الكذب. . . لكن تامر لا يستمع لكلام أمه. . . واستمر فى الكذب.

وفى يوم من الأيام أراد تامر أن يذهب ليعوم فى البحر. . . فذهب إلى أمه ليستأذن منها فأذنت له بشرط أن يعوم قريبًا من الشاطئ وذهب تامر إلى البحر. . . ولما أراد أن يعوم فى البحر جاءته فكرة يستطيع من خلالها أن يكذب على الناس من حوله بل ويسخر منهم.

نزل تامر الماء وبعد فترة يسيرة بدأ يصرخ بصوتٍ عالٍ ويقول: أنقذونى. . . أنقذونى. . . إنى أغرق. . . إنى أغرق.

فأسرع الناس إليه لينقذوه من الغرق. . . فلما وصلوا إليه أخذ يضحك ويستهزئ بهم ويقول لهم: ضحكت عليكم.

فأحس الناس بالضيق منه وذهبوا وهم يقولون: يا له من ولدٍ كذاب.

أما تامر فظل يضحك لأنه استطاع أن يخدع هؤلاء الناس وفى اليوم التالى قرر تامر أن يفعل ذلك مرة أخرى فذهب إلى البحر ليعوم وبعد وقتٍ يسير أخذ يصرخ ويقول: أنقذونى أنقذونى. . . إنى أغرق. . . إنى أغرق.

فأسرع الناس إليه لينقذوه من الغرق. . . فلما وصلوا إليه أخذ يضحك ويستهزئ بهم مرة أخرى ويقول لهم: ضحكت عليكم.

أخذ تامر يكرر هذا الأمر أكثر من مرة حتى اشتهر بين الناس بأنه ولدٌ كذاب.

وذات مرة أراد أن يفعل هذه الحيلة... فنزل البحر وبدأ يعوم... وفجأة ارتفعت الأمواج وأحس تامر بأنه سيغرق ودخل الماء فى أنفه وفمه فبدأ يصرخ ويقول: أنقذونى... أنقذونى... إنى أغرق... إنى أغرق... فظن الناس أنه يمزح كالعادة فلم يتحرك واحد منهم لينقذه من الغرق.

وظل تامر يصرخ ويصرخ بصوتٍ عالٍ ولم يأت أحدٌ لينقذه.

وكان هناك رجل واقف على الشاطئ يشاهد الأمواج وارتفاعها... فرأى تامر وهو يغرق فأسرع إليه وأنقذه من الغرق وأخرجه إلى الشاطئ وهو مُغمى عليه فلما رآه الناس علموا أنه كان يغرق فعلاً هذه المرة.

وعندما أفاق تامر نظر حوله فوجد الناس يقفون بجواره فأخذ يعتذر للناس من حوله ويقول لهم: أنا آسف على كل ما فعلته فى المرات السابقة فقد تعلمت درسًا لن أنساه أبدًا... ولن أكذب بعد اليوم أبدًا.

جزاء الكذب

كان ياما كان... كان هناك غراب أسود يعيش فى الغابة وكان صوته مزعجًا والكل يكرهه فأراد أن يغير لونه وصوته ويحتال على حيوانات وطيور الغابة، فأمسك فرشاة وغمسها فى اللون الأصفر وراح يمررها على ريشه الأسود... وظل هكذا حتى انتهى من صبغ جميع ريشه باللون الأصفر.

ولما رأى نفسه فى المرآة وقد تغير لونه فرح وراح ينتقل من شجرة إلى شجرة سعيدًا بلونه الجديد.

لكن طيور الغابة عرفته رغم أنه راح يوهمها

أنه طائر قادم إليهم من بلاد بعيدة جداً.

فقالت له الطيور: إن من يدعى غير الحقيقة فهو كذاب ونحن لا نحب الكاذبين.

وانصرفت عنه الطيور كلها فأصبح وحيداً.

فحط على شجرة وهو حزين، وقد اكتشف أنه أخطأ في غشه وكذبه على إخوانه الطيور.

وبعد قليل جاءه الذئب فسأله: من أنت أيها الطائر الجميل؟ ولماذا أنت تقف هكذا حزينًا؟

فقال الغراب الأصفر: إن طيور الغابة تركتنى ورفضت أن تصادقنى رغم أنها تعلم أننى جئت من بلاد بعيدة.

وما زال الغراب مصرًّا على الكذب رغم أنه اكتشف أن الطيور تركته من أجل الكذب.

فنفش ريشه، وقال للذئب المكار: أنا الكنارى الذهبى، صوتى أجمل الأصوات.

فاحتال عليه الذئب فقال له: لا لست أنت الكنارى، فالكنارى صديقى وهو حين يرانى يأتى ويقف فوق أنفى ويسلم علىَّ.

وأراد الغراب أن يثبت أنه الكنارى فنزل من على الشجرة، وحط فوق أنف الذئب.

وما كاد يفعل ذلك حتى فتح الذئب فمه وأمسك به وهو يقول له: سوف آكلك وأتخلص من غبائك وصوتك الذى يزعجنى ويجعلنى لا أنام.

وراح الغراب يحاول النجاة، وقد تأكد أن الكذب قد ألقى به فى مصيدة الذئب، وأخذ يقسم للذئب أنه الغراب غير أنه لوَّن ريشه باللون الذهبى.

وهيهات أن يفهم الذئب كلام الغراب، وكان موته جزاء الكذب.

الكذب الأبيض !!!

ابني الحبيب: إن من المخالفات الشرعية الشائعة بين كثير من المسلمين هى ما يُسميه الناس بالكذب الأبيض.

فيأتى الرجل فيكذب على إخوانه وعلى أقاربه، ثم إذا سألته عما قال - تأتيك الإجابة الحاسمة فى التو واللحظة فيقول لك: هذا كذبٌ أبيض!!.

وما علم هذا المسكين أنه ليس هناك كذب أبيض وكذب أسود، وإنما هناك كذب وهناك صدق، وإن الإنسان إما أن يُكتب عند الله صدِّيقًا، وإما أن يكتب عند الله كذابًا.

ومن أجل ذلك لا بد أن تعلم أيها الإبن الكريم أن الإسلام دين يحث على مكارم الأخلاق وعلى رأسها الصدق لأن الصدق كما أخبر النبى ﷺ يهدى إلى البر والبر هو جماع أعمال الطاعة والخير ولو علم النبى ﷺ طريقًا يوصل إلى البر غير الصدق لدلنا عليه ولذلك فإن الله عز وجل يحثنا جميعًا على أن نكون مع الصادقين فيقول جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(١).

بل يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(٢).

* * *

(١) سورة التوبة: الآية: (١١٩).

(٢) سورة غافر: الآية: (٢٨).

دعوة للصدق

حبايبى الحلوين: نحن نعلم أن الصدق هو أقرب طريق للفوز برضوان الله وجنته.. وأن الكذب هو أقرب طريق للمعاقبة بسخط الله وعذابه.

فهيا بنا نتواعد من الآن على أن نكون صادقين فى كل وقتٍ وحين ومع كل الناس من حولنا: مع الوالدين والمدرسين والزملاء والأصدقاء وكل الناس من حولنا حتى نفوز بمحبة الله ورضوانه وجنته.. ونفوز أيضًا بمحبة الناس من حولنا فإن الناس يحبون أهل الصدق ويكرهون أهل الكذب.

❊ ❊ ❊

الشجاعة

الشجاعة

حبايبى الحلوين: وها هو خُلق عظيم من أعظم أخلاق الرسول ﷺ ينبغى أن نتحلى به... ألا وهو خُلق الشجاعة.

* وما أجمل أن يكون المسلم شجاعًا لا يخشى إلا الله (جلَّ وعلا) وأن يبذل نفسه وماله للدفاع عن دينه ووطنه.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع خُلق الشجاعة.

ما هى الشجاعة؟

* الشجاعة من أجمل الصفات وأنبل الأخلاق التى يتحلى بها الإنسان.. لأنها تعنى البذل والعطاء، والتصدى والمواجهة، والتضحية والفداء، وردُّ الظلم والعدوان.

والشجاعة قد تكون فى ميادين القتال والحروب، يبذل الجندى نفسه مُدافعًا عن دينه ووطنه، لا يخشى الموت ولا يخاف الأعداء... لا يهمه سوى تحقيق النصر أو الموت فى سبيل الله.

والشجاعة قد تكون بالنصيحة وإبداء الرأى، والتصدى للخطأ وإظهار الصواب... فالذى يتقدَّم بالنصيحة والرأى إنسانٌ شجاعٌ، يكره الخطأ ويحب الكمال ويريد الصواب.

والشجاعة قد تكون فى اعتراف الإنسان بخطئه، وتحمُّل المسئولية، فالشجاع مَن إذا وقع منه خطأ أو تقصيرٌ فى عملٍ من الأعمال، اعترف بخطئه وتقصيره وتحمَّل نتيجة عمله، ولا يُحاول أن يُلقيها على الآخرين.

فالشجاعة ليست فى ميادين الحرب والقتال، وإنما تكون أيضًا فى البيت وفى الشارع وفى المدرسة، ومع الأصدقاء والأساتذة [١].

فضل الشجاعة

الشجاعة تضحيةٌ وبذلٌ وعطاءٌ، وقد يترتَّب عليها أن يفقد الإنسان حياته كالجندى فى ميدان القتال، فما الفائدة التى تعود عليه وعلى مجتمعه؟

تصوَّر أن عدوًّا احتلَّ وطنك، وخاف كل إنسانٍ على حياته، وبخل بها عن وطنه، ولم يحمل السلاح يجاهد به هذا العدو.. ماذا يحدث؟ ستعيش أنت وغيرك ذليلاً لا قيمة لك، مهانًا فى وطنك ذليلاً فى أرضك.

تصوَّر أن أحدًا اعتدى على أسرتك ولم تَهُبَّ للدفاع عنها.. أو حريقًا شبَّ فى منزل جارك واحتاج إلى مساعدتك فتخليت عنه.. أو لصًا اقتحم منزلك فتركته يسرق أمتعتك وحاجاتك وأنت تنظر إليه.. لو حدث هذا ماذا ستكون النتيجة؟ .. سيقع الضرر عليك، وينهار المجتمع ويفسد، وتشيع فيه صفات الأنانية والخوف والجبن.

فالشجاعة تجعلك تعيش كريمًا، وتجعل وطنك يحيا عزيزًا، وتزرع فيك صفة النجدة، فتهب لمساعدة الضعيف، ومساندة المنكوب، ومقاومة المعتدى [٢].

الشجاعة من صفات الأنبياء

* إن الشجاعة صفة عظيمة تحلَّى بها كل الأنبياء (صلوات ربى وسلامه عليهم أجمعين).

---

(١) الشجاعة / أ. احمد تمام (ص: ٣).

(٢) الشجاعة (ص: ٦).

شجاعة فى الأقوال والأفعال.

شجاعة فى إلقاء كلمات الحق وفى الصدع بالحقّ.

شجاعة فى ميدان القتال وفى مواطن النزال.

شجاعة فى حسم الأمور وفى اتخاذ القرار.

شجاعة فى كل ما يحتاج إلى إقدام.

فعليك بالتحلى بهذه الخصلة الطيبة والصفة الكريمة التى تحلَّى بها الأنبياءُ من قبلك، وتحلَّى بها أولوا العزم من الرسل عليهم جميعًا الصلاة والسلام!!

فها هو نبى الله نوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[١].

وها هو الخليل إبراهيم عليه السلام يقسم لقومه فيقول: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾[٢].

وينفذ ما وعد به: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[٣].

وها هو يُجابه الطاغية الجبار المستكبر الذى يقول: أنا أُحيى وأميت، فيقول له إبراهيم عليه السلام: ربى الذى يحيى ويميت، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٤].

---

(١) سورة يونس: الآية: (٧١).

(٢) سورة الأنبياء: الآية: (٥٧).

(٣) سورة الأنبياء: الآية: (٥٨).

(٤) سورة البقرة: الآية: (٢٥٨).

ها هو الخليل إبراهيم يُلقَى فى النار ولا يتردد ولا يبالى، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا.

* انظر إلى شجاعة الخليل إبراهيم عليه السلام فى اتخاذ القرار، بالامتثال لأمر الله.

إنه قرار بتنفيذ ما أمره الله به من ذبح ولده إسماعيل عليه السلام!

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (١).

* وها هو نبى الله موسى عليه الصلاة والسلام، يجابه الطاغية الذى يَذبح الأبناء ويستحيى النساء ويسخر الرجال، يجابه فرعون المتكبر الذى بلغ به كبره إلى أن يقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ (٢).

وبلغت به سفاهته إلى أن يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ (٣).

* يجابهه موسى عليه الصلاة والسلام بكل قوة وبكل حزم.

* وانظر إلى طريقته فى الخطاب مع فرعون فى أول الأمر وفى نهايته:

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم

(١) سورة الصافات: الآيات: (١٠٢-١٠٧).

(٢) النازعات: الآية: (٢٤).

(٣) القصص: الآية: (٣٨).

مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١].

فانظر إلى خطابه مع فرعون وشجاعته مع فرعون وقوته فى الحديث مع فرعون!!

بل انظر إلى ما هو أقوى من هذا الموقف وهذا الرد لما قال له فرعون: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾[٢].

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[٣].

فحقًا إنها جرأة فى الخطاب وشجاعة فى المواجهة!!

مع الرفق واللين والثبات واليقين!!

* وانظر إلى شجاعة أتباعه من السحرة بعد أن منَّ الله عليهم بالهداية والإيمان.

انظر إلى ثباتهم وفرعون الطاغية يتهددهم ويتوعدهم بقوله: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾[٤].

فماذا قالوا؟ وبماذا أجابوا؟! ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[٥].

فحقًا إنها شجاعة، شجاعة من أتباع الرسل، وشجاعة من المؤمنين

---

(١) الشعراء: الآيات: (١٦-٢٨).
(٢) الإسراء: الآية: (١٠١).
(٣) سورة الإسراء: الآية: (١٠٢).
(٤) سورة طه: الآية: (٧١).
(٥) سورة طه: الآية: (٧٢).

بالرسل، شجاعة من المصدقين بوعد الله!!

أما عيسى عليه السلام، فها هو يوشك أن ينزل من السماء يقتل الدَّجال[١] ويقتل الخنزير ويكسر الصليب[٢].

وقد أثنى نبينا محمد ﷺ على نبى الله داود عليه السلام، فقال: «ولا يفرُّ إذا لاقى»[٣].

كان النبى ﷺ أشجع الناس

أما نبيُّنا محمد ﷺ فكان أشجع الناس عليه الصلاة والسلام:

كان ﷺ شجاعًا فى أقواله فصدع بالحق وبقول: «لا إله إلا الله» فى وسطِ كافرٍ مشركٍ يعبد الأوثان ويعظم الأصنام!!

وناله فى سبيل الله ما ناله وهو صابر مقدام شجاع يحتسب الأجر عند الله فى كل شىء أصابه ولا يخشى فى الله لومة لائم.

وجاءت شريعته السمحة السهلة اليسيرة مع سماحتها وسهولتها ويسرها تأمر بهذه الخصلة الطيبة وتحث عليها وتحذر من الفرار أيما تحذير!!

وكان صلوات الله وسلامه عليه دائم التعوذ من الجُبن، يتعوذ بالله من الجبن فى جملة مواطن:

ففى «الصحيح» من طريق مصعب بن سعد قال: كان سعد يأمر بخمس، وذكرهن، عن النبى ﷺ أنه كان يأمر بهن: «اللهم إنى أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أُرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا - يعنى: فتنة الدجال - وأعوذ بك من عذاب القبر»[٤].

---

(١) انظر صحيح مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٢٢٢) كتاب البيوع، ومسلم (١٥٥) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٧٧) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٢٨٢٢) كتاب الجهاد والسير.

وأخرج البخارى من حديث جبير بن مطعم أنه بينما هو يسير مع رسول الله ومعه الناس مقفلة من حُنين فعلقَت الناس يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فوقف النبى ﷺ فقال: «**أعطونى ردائى، لو كان لى عدد هذه العضاة نعمًا لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلاً ولا كذوبًا ولا جبانًا**»(١)(٢).

* **وعن أنس رضي الله عنه قال:** كان النبى ﷺ أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس، ولقد فزع أهل المدينة، فكان النبى ﷺ سبقهم على فرس، . . . وقال: «**وجدناه بحرًا**»(٣).

* وفى الحديث الذى رواه مسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أنه قال لرجلٍ قال له: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال: أشهد على نبى الله ﷺ ما ولَّى ولكنه انطلق أخِفَّاء من الناس، وحُسَّرٌ إلى هذا الحى من هوازن، وهم قوم رماة. فرموهم برشقٍ من نبلٍ. كأنها رِجلٌ من جرادٍ. فانكشفوا. فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته. فنزل ودعا واستنصر، وهو يقول: «**أنا النبى لا كذب. أنا ابن عبد المطلب. اللهم نزِّل نصرك**».

قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقى به(٤). وإن الشجاع منا للذى يحاذى به - يعنى: النبى ﷺ.

* * *

(١) **صحيح:** رواه البخارى (٢٨٢١) كتاب الجهاد والسير.
(٢) فقه الأخلاق (٢/ ٤٠ : ٤٧) للشيخ مصطفى العدوى - بتصرف شديد.
(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٢٨٢٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٣٠٧) كتاب الفضائل.
(٤) **صحيح:** رواه مسلم (١٧٧٦) كتاب الجهاد والسير.

شجاعة أصحاب الرسول ﷺ

ولقد تعلَّم أصحاب الرسول ﷺ خُلق الشجاعة من النبى ﷺ فكانوا أشجع الناس ﷺ.

* فها هو أبو بكر الصدِّيق ﷺ الذى كان أشجع الناس بعد رسول الله ﷺ.

* **روى البخارى عن عبد الله بن عمر ﷺ قال:** بينما رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة ابن أبى معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلفَّ ثوبه فى عنقه فخنقه خنقًا شديدًا فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبى ﷺ، ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾(١)(٢).

* **وعن على ﷺ أنه قال:** أيها الناس! أخبرونى مَن أشجع الناس؟

قالوا: أنت يا أمير المؤمنين! قال: أما إنى ما بارزت أحدًا إلا انتصفت منه، ولكن أخبرونى بأشجع الناس. قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر ﷺ إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا. فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوى إليه أحد من المشركين؟ فوالله! ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوى إليه أحد إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس.

* وهذا عمر بن الخطاب ﷺ الذى كان لا يخشى أحدًا إلا الله (جلَّ وعلا)... فقد كان هو الوحيد الذى هاجر علانية أمام المشركين وذهب إليهم عند الكعبة وسخر منهم وقال لهم: من أراد أن تفقده أمه أو يصبح ولده يتيمًا من بعده فليلقنى خلف هذا الوادى... فما تَبِعه أحدٌ منهم.

---

(١) سورة غافر: الآية: (٢٨).

(٢) صحيح رواه البخارى (٤٨١٥) كتاب تفسير القرآن.

* وهذا على بن أبى طالب ﷺ الذى نام ليلة الهجرة مكان النبى ﷺ وهو يعلم أن المشركين يريدون قتله.

- بل ولطالما لقى الفرسان الأقوياء وبارزهم وانتصر عليهم بفضل الله (جل وعلا).

* وهذا طلحة بن عبيد الله ﷺ الذى وقف يدافع عن النبى ﷺ فى غزوة أُحد حتى جُرح وضُرب بالسيف أكثر من ثلاثين ضربة حتى أُصيب بالشلل فى يده ففاز بدعوة النبى ﷺ.

* وهذا الزبير بن العوام ﷺ الذى اقتحم حصن بابليون واستطاع أن يفتح باب الحصن لعمرو بن العاص ﷺ وجنوده ففتحوا مصر ونشروا الإسلام فيها فأصبحت مصر منذ هذه اللحظة دولة مسلمة.

* وهذا سعد بن أبى وقاص ﷺ فى معركة القادسية... وجد سعد بن أبى وقاص أن الفُرس قد عبروا نهر دجلة بسُفنهم ولم يكن المسلمون يمتلكون سفينة واحدة، فما كان من سعد إلا أن خاض النهر بجواده وقام المسلمون معه فخاضوا النهر بالخيول حتى عبروا نهر دجلة وكانوا يتحدثون فى النهر كما كانوا يتحدثون فى البر... فيا لها من شجاعة تفوق الخيال.

* ولو استطردنا فى الأمثلة لرأينا الكثير والكثير من شجاعة أصحاب الرسول ﷺ.

شجاعة غلامين من أبناء الصحابة

فى غزوة بدرٍ والمعركة مشتعلةٌ بين المسلمين وكُفَّار قُريشٍ، كان الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف واقفًا بين الصفوف، ممسكًا بسيفه، وبينما هو يستعد للقتال جاءه غلامان صغيران، يحمل كل واحدٍ منهما سيفًا.

قال أحدهما: يا عم أتعرف أبا جهلٍ؟

قال عبد الرحمن: نعم، وماذا تريد منه؟

قال أحد الغلامين: علمت أنه يسب رسول الله ﷺ . . . والله لو رأيته لأضربنه بسيفى هذا. وقال الغلام الآخر مثل كلام صاحبه.

تعجَّب عبد الرحمن بن عوف من شجاعة الغلامين، وحين لمح أبا جهل يتجوَّل بين الصفوف كالثور الهائج قال للغلامين: هذا صاحبكما الذى تسألانى عنه.

تقدَّم الغلامان الصغيران من أبى جهل، ثم انقضَّا عليه بسيفيهما فضرباه ضربةً شديدةً فسقط قتيلاً، ثم انصرفا إلى النبى ﷺ فأخبراه بما فعلا.

فقال لهما النبى ﷺ: «أيكما قتله؟».

قال كلٌّ منهما: أنا قتلته.

قال النبى ﷺ: «هل مسحتما سيفيكما؟».

قال الغلامان: لا.

فنظر النبى ﷺ فى السيفين، وقال: كلاكما قتله[1][2].

شجاعة الغلام الصغير

عُرف الخليفة عمر بن الخطاب بالعدل والحزم، ومحاربة الظلم والعدوان، ومقاومة الفوضى، فتحسنت أحوال الناس، وعاشوا فى هدوء وأمان.

وكان الخليفة رجلاً عظيمًا، مهيب الطلعة، يحترمه الناس ويهابونه ويعملون له ألف حساب. . . ودائمًا كان يمرُّ فى شوارع المدينة وأحيائها يتفقد أحوال الرعية، ويتعرف مشكلاتهم، حتى يتمكن من وضع الحلول المناسبة.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٤١) كتاب فرض الخمس، ومسلم (١٧٥٢) كتاب الجهاد والسير.

(٢) الشجاعة / (ص: ١٣).

وفى أثناء مروره بأحد شوارع المدينة كانت مجموعة من الصبيان تلعب وتضحك، ويجرى بعضهم وراء بعضٍ، وكان أحدهم تبدو عليه علامات الشجاعة والذكاء، فلما رأى الأطفال الخليفة عمر بن الخطاب قادمًا عليهم بقامته الطويلة وطلعته المهيبة، انطلقوا فارِّين، ولم يبق فى الطريق سوى هذا الغلام.. فلما اقترب منه الخليفة قال له:

- لماذا لم تفر مثلما فعل أصدقاؤك.

قال فى أدب:

- لم أفعلْ خطأً أو ارتكب ذنبًا حتى أخاف.. كما أن الطريق ليس ضيقًا فأوسع لك.

نظر عمر إلى الصبى وسأله عن اسمه، فلما أجاب تبسم ابتسامة كلها رضًى وإعجاب ثم مضى فى طريقه وتمر الأيام ويصبح هذا الغلام حاكمًا عظيمًا (١).

حكاية الحارس محمود

كان ياما كان.

كان هناك رجل طيب اسمه سعدون وكان عنده أرض زراعية وفيها مجموعة من الأغنام... وكان رجلاً كريمًا لا يرد سائلاً أو فقيرًا إلا أعطاه.

وكان يعانى من اللصوص الذين يسرقون الزرع والأغنام.

فلما استشار الناس من حوله قالوا له: لابد من حارس يحرس لك الأرض والأغنام أثناء الليل.

فأخذ عم سعدون يبحث عن الرجل المناسب إلى أن وجد شابًّا تقيًّا ورعًا اسمه محمود... وكان شابًّا مخلصًا.

---

(١) الشجاعة (ص: ٨).

* بدأ محمـود عمله فى الحراسة الليلية لمزرعة العـم سعدون. . . وكان يؤدى عمله بإخلاص فلم يستطع أى لص من اللصوص أن يسرق أى شىء منذ هذه اللحظة.

* كان عم سعـدون فى غاية السعـادة والسرور لوجود الحارس مـحمود الذى استطاع أن يحفظ له بستانه وأغنامه.

* وكان الحارس محمود أيضًـا فى غاية السعادة والسرور لأنه يعمل عند رجل صالح يتقى الله فى كل ما حوله ولا يبخل أبدًا على اليتامى والفقراء.

* وتمر الأيام ويذيع صيت الحارس محـمود. . وبدأ الناس يتكلمون عن أمانته وإخلاصه. . . حتـى سمع به رجل غنى من رجال الأعمال فى المدينة المجاورة فجاء إلى عم سعدون وطلب منه أن يترك له الحارس محمود مقابل مبلغ كبير من المال لأنه فى حاجة إلى حارس مخلص وأمين مثله.

تردد عم سعدون كثيرًا فهو لا يريد أن يفرط فى الحارس محمود. . لكن الرجل عرض عليه مبلغًا كبيرًا وهو محتاج إلى هذا المال.

* **قال عم سـعدون للرجـل الثرى:** أما عن نفسى فـأنا موافق لكن دعنى أعرض الأمر على الحارس محمود.

ذهب عم سـعدون وعـرض الأمر على الحـارس محـمود. . . فـأحس محمود بحزنٍ شديد لأنه كان يحب هذا الرجل الصالح عم سعدون رغم أنه يعطيه راتبًا بسيطًا. . . لكنه أحس من داخله أن عم سعدون بحاجة إلى هذا المال الذى عرضه عليه الرجل الثرى فوافق محمود على أن يعمل حارسًا عند هذا الرجل الثرى براتب كبير جدًّا.

* قام الحارس محمود واحتـضن عم سعدون وودعه ودموعه على خديه حزنًا لفـراق هذا الرجل الصالح. . وذهب مع هذا الرجل الثرى إلى قـصره فى المدينة المجاوره.

* دخل محمود قصر هذا الرجل فوجده قصرًا فارهًا ووجد عنده حُرَّاسًا آخرين يحرسون القصر.

قال له صاحب القصر: أريدك يا محمود أن تحرس هذا الباب فقط فهناك حارس على كل باب.. وأريدك أن تكون مخلصًا فى عملك كما كنت مع عم سعدون.

محمود: سأكون عند حسن ظنك يا سيدى.

* وقف محمود يحرس بوابة القصر التى أمره صاحب القصر بحراستها... وفى منتصف الليل سمع صوت رجال يقفزون من على السور ويريدون اقتحام القصر فأخذ يضربهم بكل قوة فسمع صوته حراس القصر فجاؤوا وقبضوا عليهم وضربوهم ضربًا شديدًا... وإذا بهؤلاء الرجال يبكون ويقولون: نريد أموالنا.. نريد حقوقنا.

تعجب الحارس محمود من هؤلاء اللصوص الذين يقولون: نريد أموالنا.. نريد حقوقنا!!!

* وبعد أسبوع تكررت نفس الحادثة فلما رأى محمود هؤلاء الرجال يتسلقون السور أسرع إليهم وأعطاهم الأمان وقال لهم: لن أفعل شيئًا معكم ولكن أخبرونى من أنتم؟ هل أنتم لصوص؟

قالوا: لسنا لصوصًا ولكن هذا الرجل صاحب القصر اغتصب أموالنا بالقوة وتركنا نحن وأولادنا نكاد أن نموت من الجوع وكلما جئنا لنطلب أموالنا سلط علينا الحراس فضربونا.

قال محمود: إذن.. لستم أنتم اللصوص بل إن اللص الحقيقى هو صاحب القصر.

قالوا له: نسألك بالله أن تساعدنا.

محمود: سأساعدكم الآن... سأسمح لكن بالدخول إلى هذا اللص

لتطلبوا حقوقكم جميعًا.

* وفى تلك اللحظة كان هذا الثرى اللص يجلس بالداخل يشرب الخمر وفجأة وجد أهل القرية الفقراء أمام عينيه يطالبونه بأموالهم.

فقال لهم: سوف أعطيكم أموالكم كلها غدًا...

فقالوا: لن نخرج من هنا حتى نأخذ كل أموالنا التى أخذتها منا.

* وأمام هذا الإصرار اضطر صاحب القصر أن يعطيهم أموالهم.... وفى الصباح الباكر قام صاحب القصر وجمع كل الحراس وسألهم: من الذى سمح لهؤلاء اللصوص أن يدخلوا إلى قصرى؟.

قال محمود: يا سيدى إنهم ليسوا لصوصًا ولكنهم مظلومون.

الرجل الثرى: أنت الذى سمحت لهم بالدخول؟

محمود: نعم يا سيدى لأن عملى هنا هو حماية الشرفاء وليس حماية اللصوص.

الرجل الثرى: أنت مطرود من العمل.. اخرج من القصر.

قال محمود: الحمد لله الذى عافانى من هذا البلاء.

* وعاد محمود مرة أخرى إلى عم سعدون (الرجل الصالح) ففرح به كثيرًا وقال له: ما الذى جعلك تعود بهذه السرعة يا محمود؟

محمود: إن حراسة الشرفاء أمثالك بلقمة عيش أفضل عندى من حراسة اللصوص بآلاف الدولارات.

* * *

الاجتماع قوة

كان ياما كان.

كان فى إحدى الغابات الجميلة ثلاثة من الأصدقاء يعيشون سويًا وتربطهم مودة ومحبة عجيبة... قرد وفهد وغزال.

فكانوا يلعبون سويًا ويمزحون ويأكلون سويًا.

فكان القرد يحضر الموز والفول السودانى.. والفهد يُحضر اللحم.. والغزال يُحضر الأعشاب ويأكلون سويًا.

بل وصلت المحبة بينهم لدرجة أنه كان الفهد إذا مر بشجرة موز فإنه يصعد عليها ليأتى بالموز لصاحبه القرد... وكذلك كان يفعل القرد والغزال.

وكان الواحد منهم إذا تعب أو مرض تكفَّل صاحباه بأن يأتيا إليه بالطعام والشراب.

* وفى يوم من الأيام كانوا يلعبون سويًا ويمزحون وإذا بهم يسمعون

صوت زئير الأسد وقد اقترب منهم يريد أن يظفر بواحد منهم فصاح الغزال: إحذروا من الأسد.

فما كان من القرد إلا أن قفز فوق الشجرة.. وأما الغزال فقد أسرع بعيداً.. وبقى الفهد واقفًا فى مكانه.

اقترب الأسد من الفهد الصغير وظل يزأر فى وجهه... والفهد ثابت لا يتحرك... اقترب الأسد أكثر وأكثر.

أراد القرد أن يساعد الفهد ولكن كيف يساعده وهو صغير وضعيف فلو أنه نزل لافترسه الأسد فى لحظة واحدة.. ولو أنه ظل هكذا فوق الشجرة فسوف يقتل الأسد صديقه الفهد.

فما كان من القرد إلا أن ألقى الموز الذى فى يده على رأس الأسد فلم يلتفت... وأحس القرد بالخوف الشديد على صديقه الفهد وفى تلك اللحظة نظر الفهد إلى القرد نظرة حانية وكأنه يودعه فتخيل القرد صديقه الفهد وقد قتله الأسد فأحس بالحزن الشديد... فنادى القرد على الغزال فاقترب ونزل القرد من على الشجرة وظل كل واحد منهما يرمى الأسد بالحجارة حتى انشغل الأسد بمطاردة القرد والغزال فاستطاع القرد أن يصعد على الشجرة واستطاع الغزال أن يختبئ بين الأشجار وتمكن الفهد من الهروب ولم يستطع الأسد أن يمسك واحداً منهم وعاد حزينًا... بينما التقى الأصدقاء بعيداً عن الأسد وتعانقوا وهم فى غاية السعادة أن اجتمعوا مرة أخرى.

* **وهنا تقدم الفهد بالشكر لصديقيه:** القرد والغزال لإنقاذه من براثن الأسد.

* * *

العصفور الشجاع

كان ياما كان.

كان فى إحدى القرى مزارع عنب كثيرة يملكها رجل اسمه سحلول البخيل.

ومرت الأيام.. وجاء فصل الصيف وأينعت عناقيد العنب.

فرحت العصافير كثيرًا وطارت مسرعة إلى العنب.. وعندما أصبحت قريبة منه.

قال عصفورٌ مُحذِّرًا: ها هو ذا رجلٌ يقفُ وسطَ العنب!

قال آخر: فى يده بندقية!

قال ثالث: يجبُ ألا نُعرِّضَ أنفسنا للخطر..

خافتِ العصافيرُ، وولَّتْ هاربةً..

فى اليوم الثانى..

استفاقت العصافيرُ باكرًا، وهرعَتْ إلى العنب.

آملةً أنْ تصله، قبلَ الرجل المخيف..

وهناك.. فوجئَتْ برؤيةِ الرجلِ واقفًا، لم يبارحْ مكانه!

رمقَتْ بندقيته خائفةً وانصرفتْ حزينةً.. غابَتْ أيامًا.. ملَّتِ الصبرَ والانتظار، ازداد شوقها إلى العنب، قصدَتْهُ من جديد..

وكم كانتْ دهشتها

عظيمةً، حينما شاهدَتِ الرجلَ منتصبًا، في مكانه نفسِهْ، كأنَّهُ تمثال!

لم تجرؤ العصافيرُ على دخولِ بستان العنب..

لبثتْ ترقبُ الرجلَ عن بُعد..

مرَّ وقتٌ طويل..

لم ينتقل الرجلُ من مكانه..

قال عصفورٌ ذكيّ: هذا ليس رجلاً!

قال آخر: أجل... إنَّهُ لا يتحرَّك!

قالتْ عصفورة: عدَّةُ أيامْ مضتْ، وهو جامدٌ مكانه!

قال عصفورٌ جريء: سأمضي نحوه، لأكشفَ أمره.

قالتْ له أمُّهُ: أتُلقي بنفسك إلى التهلكة؟!

قال العصفور الجريء: في سبيل قومي العصافير، تهونُ كلُّ تضحية...

ثم اندفعَ بشجاعةٍ تجاه الرجل..

نزلَ قريبًا منه.. تقدَّم نحوه حـذِرًا.. لم يتحرَّكِ الرجل... تفرَّسَ في بندقيته.. ضحكَ من أعماقه..

إنَّها عودٌ يابس!

حدَّقَ إلى وجههِ، لم يرَ له عينين... اطمأنَّ قلبه..

خاطبه ساخرًا: مرحبًا يا صاحب البندقية!

لم يردَّ الرجل..

كلَّمهُ ثانيةً..

لم يردَّ أيضًا..

قال العصفورُ مستهزئًا: الرجلُ الحقيقيّ، له فمٌ يُفتَحُ، وصوتٌ يُسمع!

طارَ العصفور.. حطَّ على قُبعـةِ الرجلِ.. لم يتحرَّك.. نقرَهُ بقوةٍ... لم يتحرَّك.. شدَّ قبعته، فارتمت أرضًا...

شاهدتْ ذلك العصافيرُ، فضحكتْ مسرورةً، وطارتْ صَوْبَ رفيقها، ثم هبطتْ جميعها فوق الرجل...

شرعتْ تتجاذبه بالمخالبِ والمناقير.. انطرحَ أرضًا.. اعتلَتْ صدره، تنقره وتهبشه...

انحسرَ رداؤهُ، ... تكشَّفَ عن قشٍّ يابس !!

قالت العصافيرُ ساخرة: إنَّهُ محشوٌّ بالقَشّ...

قالتْ عصفورة: كم خفنا من شيء لا يُخيف!

قال آخر: لولا إقدامُ رفيقنا، لظللنا نعيشُ في خوف.

قال عصفورٌ صغير: يا للعجب.. كان مظهره يدلُّ على أنَّهُ رجل!

قال له أبوه: لن تخدعنا بعدَ اليومِ المظاهر..

غرَّدت العصافيرُ، مبتهجةً بهذا الانتصار، ثم دخلَتْ بينَ الدوالي، فاحتضنتها الأغصان بحُبٍّ وحنان [1]..

❊ ❊ ❊

(١) نقلاً من موقع (أطفال معكم).

صور الشجاعة

الشجاعة هى ثبات القلب فى وقت الشدائد، والقيام بالأعمال التى تحتاج إلى جرأةٍ وإقدامٍ، وتضحيةٍ وفداءٍ.

فالجندى الذى يقف وراء مدفعه أو يخترق صفوف العدو أو يهبط بمظلةٍ خلف صفوف الأعداء إنسانٌ شجاعٌ وبطلٌ مقدامٌ.

والطيار الذى يقود طائرته، ويحلِّق بها فوق أرض الأعداء، يضرب مواقعهم ويدمِّر تحصيناتهم إنسانٌ شجاعٌ يحب وطنه ولا يخاف الموت.

وهناك صور أخرى من صور الشجاعة.

فرجال الإطفاء الذين يقومون بواجبهم فى إطفاء الحرائق وإنقاذ السُّكان يتميَّزون بالشجاعة والإقدام.

ورجال الشرطة الذين يتعقبون المجرمين ويقبضون عليهم رجالٌ شجعانٌ.

والإنسان الذى يواجه الخطأ ويحاول إصلاحه، ولا يسكت عن أى تقصيرٍ يراه فهو إنسانٌ شجاعٌ، يتميز بالإيجابية والتعاون.

والذى يعترف بخطئه، ولا يُلقى به على أحدٍ، ويتحمل مسئولية ما فعل إنسانٌ لديه شجاعةٌ أدبيةٌ.

فالشجاعة لها صورٌ متعددةٌ، وتشمل ميادين الحياة كلَّها، ولا تقتصر على ميادين الحرب والقتال[١].

* * *

(١) الشجاعة (ص: ٤-٥) بتصرف.

الشجاعة محمودة.... ولكن

صحيح أن الشجاعة محمودة، ولكن الشجاعة لا تقتضى المواجهة فى كل الأحوال، فقد يكون التأخر للتفكير وللاستعداد وللانقضاض وللتحرف للقتال أولى فى كثير من الأحيان.

بل وقد يكون العفو أولى وأولى.

والإقدام فى موطن يحتاج إلى تريثٍ وتأنٍّ قد يكون نوعًا من التهور والطيش والإلقاء باليد إلىٰ التهلكة!

وكذلك التأخر فى موطن يحتاج إلى إقدام قد يُعدُّ نوعًا من الجبن والخذلان!! بل قد يُطمع فيك عدوَّك ويجعل للفاسق عليك سبيلاً.

* وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

* وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2].

ومن هذا الباب: حَفْرُ رسول الله ﷺ للخندق، فلو كان فى مواجهة هذه الجيوش الجرارة - جيوش الأحزاب المتدفقة على مدينة رسول الله ﷺ - خير لواجههم رسولُ الله، ولكن لما كان عدد المسلمين لا يكاد يُذكر أمام هذه الجيوش الجرَّارة، أُشير على رسول الله ﷺ بحفر الخندق، فقام عليه الصلاة والسلام هو وأصحابُه ﷺ بحفر الخندق، والاستعداد من وراء الخندق!!

---

(١) سورة الحج: الآية: (٤٠).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٥١).

* وهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يرى النبى ﷺ ينهال عليه القرشيون بالأذى ولا يستطيع أن يُحرك ساكنًا، ولو حرَّك ساكنًا لقُتِل!

فابن مسعود موقفه فى القرشيين ضعيف!!

ثم إن ابن مسعود ضعيف فى بدنه، لا طاقة له بقتال هؤلاء الجبابرة.

* ويختلف الحال بالنسبة لأبى بكر رضي الله عنه.

فأبو بكر رجل من قريش ومن قبيلة لها وضعها من قريش، فمركزه أقوى من مركز ابن مسعود فى أوساط القرشيين، هذا كله فضلاً عن قوة إيمانه وكونه صدِّيقًا، فمن ثَم تقدم للدفاع عن رسول الله ﷺ، والمسلمون مستضعفون بمكة.

* أخرج البخارى من طريق عروة بن الزبير، قال: سألت ابن عمرو بن العاص: أخبرنى بأشدِّ شىء صنعه المشركون بالنبى ﷺ. قال: بينا النبى ﷺ يصلى فى حِجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبى مُعيط فوضع ثوبه فى عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى ﷺ قال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله[1].

* وهذا عمرو بن عبسة رضي الله عنه يأتى النبىَّ ﷺ مسلمًا فينصحه النبىُّ ﷺ أن يرجع إلى أهله حتى يسمع بظهور النبىِّ ﷺ فحينئذ يأتى.

* ويختلف الحال شيئًا ما بالنسبة لأبى ذر رضي الله عنه:

فأبو ذر رضي الله عنه رجل جرىءٌ، ومن قبيلة غِفار، وهى قبيلة كانت مشهورة بقطع الطريق، وموقعها - جغرافيًّا - موقع قوى إذ هو طريق التجارة إلى الشام، وقبل هذا إيمانٌ وقر فى قلب أبى ذر وفاض على لسانه فلم يستطع كتمانه.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٨٥٦) كتاب المناقب.

* وكتنزيل لهذا على واقعنا:

* فقد يكون هناك رجل ضخم الجثة قوى البنية ظالم غشوم جاهل عُتل جواظ، أتى هذا الرجل الظالم فلطم شخصًا ضعيفًا لطمة وضربه ضربة، فهل ترى أن من الأولى أن يرد هذا الضعيف اللطمة باللطمة فى الحال؟!

إنه إن فعل أوشك أن يُقتل.

ولأن يُلطم لطمة خير من أن يلطم عشر لطمات، فعليه حينئذ أن يُفكر بطريقة جيدة فى أخذ حقه أو النظر فى أمره.

* وأيضًا فقد يمرُّ أحد الفضلاء بسوق من الأسواق فيرميه بذيءٌ بكلمة أو يسبه بمسبة، فإن وقف ورد عليه مسبته، أمطره الآخر بوابل من السباب والشتائم.

فلأن يسمع كلمة واحدة فيها مسبة خير له من أن يسمع مائة كلمة ويُقذف بكل قبيح، فحينئذ ما يسعه إلا التخلق بأخلاق أهل الفضل الذين ذكرهم الله بقوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[1].

وبقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[2].

وأيضًا فكما أن المرء عليه أن ينظر فى قوته المادية وقوة خصومه، عليه أيضًا أن ينظر فى موقفه من نواحٍ أُخر، ألا وهو موقفه مع الله سبحانه وتعالى عند الإقدام على مخاصمة أو قتال.

فينظر هل هو ظالم أو مظلوم؟!

فإن كان ظالمًا فعليه فورًا أن ينسحب من معركته مع أخيه ويستسلم للحق ويرد المظالم إلى أهلها.

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (٧٢).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٦٣).

فإن المظلوم منتصر إما عاجلاً وإما آجلاً.

قال تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾(٢).

وفي «الصحيحين»: «اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب»(٣)(٤).

❁ ❁ ❁

(١) سورة الإسراء: الآية: (٣٣).

(٢) سورة الحج: الآية: (٦٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٤٨) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٩) كتاب الإيمان.

(٤) فقه الأخلاق/ الشيخ مصطفى العدوي (٢/٥٨-٦٢) بتصرف.

الجود والإيثار

الجود والإيثار

حبايبى الحلوين: وها هو خُلق من أعظم أخلاق الرسول ﷺ ينبغى أن نتحلى به... ألا وهو خُلق الجود والإيثار.

*وما أجمل أن يتخلق المسلم بخلق الجود والإيثار فإن من تخلق بهذا الخلق فإنه يفوز بمحبة الله ورضوانه... ويفوز بمحبة الناس من حوله.

*فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع الجود والإيثار.

هل أنت منهم؟

ابنى الحبيب: هل حدث يومًا أن كنت بحاجة إلى المال الذى معك فوجدت زميلك بحاجة إلى المال فأعطيته المال الذى معك وآثرته على نفسك؟

*هل ذهبت المدرسة يومًا وكان معك طعامك الذى صنعته لك أمك الغالية فوجدت زميلك فى الفصل ليس معه طعام فأعطيته الطعام الذى معك وآثرته على نفسك؟

*إذا كنت قد فعلت هذا فأنت ممن أكرمهم الله بخُلق الإيثار فقال عنهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (١).

* * *

(١) سورة الحشر: الآية: (٩).

الإيثار الجميل

دخل الأولاد الصغار يتسابقون إلى الماء البارد بعد عطش شديد فقد كان يومًا حارًّا جدًّا من أيام الصيف..

وعندما فتحوا الثلاجة وجدوا المفاجأة، وجدوا إناءً واحدًا فقط فيه ماء بارد فنظر بعضهم إلى بعض من يشرب أولاً؟!!

فأمسك علىٌّ الإناء وقال: تفضَّل يا أنس اشرب أولاً....

فاستحى أنس أن يشرب أولاً وإخوته الصغار لم يشربوا بعد.

فقال: خذ يا عبد الرحمن اشرب أنت أولاً.

فأخذ عبد الرحمن الإناء وسمَّى الله وبدأ يشرب وفى أثناء شربه سمعوا جميعًا صوتًا يقول:

قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

نظروا جميعًا إلى مصدر الصوت، فإذا جارهم الطيب العم صالح جاءهم زائرًا فقد شاهد الموقف بأكمله وهو متعجب!!

فاندفعوا جميعًا يتسابقون للسلام على جارهم الطيب، فهم يحبونه كثيراً وهم يستمتعون بزيارته جدًّا وبقصصه الجميلة.

فقالوا: عم صالح مرحبًا بك... ترى ماذا ستحكى لنا اليوم؟!

العم صالح: عندما رأيت يا أولادى الأحباء إيثار كل منكم لأخيه بالماء البارد تذكرت أصحاب رسول الله ﷺ ورضوان الله عنهم أجمعين.

فقد أصيبوا بجراح شديدة فى معركة اليرموك وكان من بينهم عكرمة بن أبى جهل وجاء رجل ومعه بعض من الماء يريد أن يسقى هؤلاء الجرحى فقال

---

(١) سورة الحشر: الآية: (٩).

لأحدهم: - أسقيك؟ فأشار بيده نعم فإذا بجريح ثانٍ يقول آه - فأشار الجريح الأول للرجل الذى معه الماء أن اذهب وابدأ بأخى فاسقه أولاً فلما ذهب إليه سمع جريحًا ثالثًا يقول آه آه فأشار إليه الجريح الثانى أن انطلق لأخى فاسقه أولاً فلما وصل إليه وجده قد مات فرجع إلى الباقى فوجدهم قد ماتوا أيضًا رضى الله عنهم أجمعين فقالت فاطمة: ولكن لِمَ لم يشرب هذا الجريح ثم يعطى لإخوانه الإناء ليشربوا ما دام الماء كثيراً ويكفى الجميع؟

فدخل الأب عليهم وهم ملتفون حول جارهم العم صالح... وقال مبتسمًا: هل تأذن لى يا جارى العزيز أن أجيب فاطمة؟

العم صالح: نعم يسرنى ذلك يا أبا أنس.

الأب: يا فاطمة الماء كثير ولكن الحب والأخوة الصادقة فى قلوبهم كانت أكثر وأكبر... فاستحى كل منهم أن يشرب أولاً وهو يرى أخاه يتأوه من الألم محتاجًا لشربة ماء ففضَّله على نفسه...

فاطمة: يا لهم من رجال عظماء يا أبى إنى أحبهم جداً. وأشتاق إلى رؤيتهم.

الأب: اقتدى بهم يا ابنتى تكونى معهم إن شاء الله.

وكانت فاطمة تمسك بيدها حلوى لذيذة اشترتها من مصروفها الخاص. فجاء عبد الرحمن وقال لها يا فاطمة ألم تشتاقى لأن تعملى بخلق الإيثار؟ ألا تفضلينى على نفسك بهذه الحلوى اللذيذة!!

فضحك الجميع واحتضنت فاطمة أخاها الصغير وهى تُقبله وأعطته الحلوى[1].

❋ ❋ ❋

(١) الإيثار / د. إبراهيم الشربينى (ص: ٥-٧).

علمتنى أمى

لقد علمتنى أمى الكثير فهى بحق مدرسة عظيمة وإنى أدين لها بالكثير فكم غرست فىّ من بذور الحب والعلم والخير وسَقَت هذا الغرس وتعهدته حتى أثمر خير الثمار.

أحبك يا أمى.

أشكرك يا أمى.

وكان مما علمتنى.

قول الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (١).

فسألتها ما معنى كلمة (خصاصة) يا أمى؟

فقالت: (الخصاصة) هى الفقر والاحتياج فهؤلاء المؤمنون يؤثرون إخوانهم من المؤمنين على أنفسهم حتى لو كان بهم فقر واحتياج.

فتعجبت وقلت لها: كيف هذا يا أمى؟

فقالت: نزلت هذه الآية يا ولدى فى رجل وزوجته ضحك الله عزَّ وجلَّ من فعلهما... جاء رجل إلى النبى ذات ليلة جائعًا لا يجد طعامًا فأرسل النبى ﷺ إلى نسائه يسألهن عن طعام فقلن: ما معنا إلا الماء.

فقال رسول الله: «من يضم أو يضيف هذا الرجل؟».

فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله فأخذه ورجع إلى بيته ثم قال لامرأته «أكرمى ضيف رسول الله ﷺ».

فقالت: ما عندنا إلا قليل من الطعام يكفى فقط صبيانَنا الصغار وهم جائعون جدًّا.

فقال لها: أعدِّى الطعام ونَوِّمى أولادك إذا أرادوا العشاء.

---

(١) سورة الحشر: الآية: (٩).

فجهـزت المرأة الصالحة الطعـام ونوَّمت أطفالها الصغـار على جوع، ثم أعدت للضيف الطعام، ثم قامت كأنها تُصلح السراج (المصباح الذى يضىء البيت) فأطفأته.

وجعل الصحابى وزوجته يُريان هذا الضيف كأنهما يأكلان ليأكل الضيف بلا حـرج لأن الطعام قليـل ولا يكفى ويات الزوجان وهمـا جـائعان فلمـا أصبح الرجل ذهب إلى رسول الله ﷺ فقال له النبى: «ضحك الله الليلة من فـعـالكمـا. وأعجب من فـعـالكمـا ورضى عنكمـا»[١]، ونزلت هذه الآية الكريمة[٢].

الحض على الإنفاق من الكتاب والسنة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[٥].

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجلٌ آتاه الله مـالاً، فسـلَّطه على هلكتـه فى الحق، ورجلٌ آتاه الله حكمـةً، فهـو يقضى بها ويُعلِّمها»[٦].

* وعن عـدى بن حـاتم رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قـال: «اتقـوا النار ولو بشق تمرة»[٧].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٩٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٠٥٤) كتاب الأشربة.

(٢) الإيثار (ص: ٨-٩) - مكتبة سفير.

(٣) سورة سبأ: الآية: (٣٩).

(٤) سورة البقرة: الآية: (٢٧٢).

(٥) سورة البقرة: الآية: (٢٧٣).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣) كتاب العلم، ومسلم (٨١٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٧) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٧) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

* وعن جابر رضي الله عنه قال: ما سُئل رسول الله ﷺ شيئًا قطُّ فقال: لا[١].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: أنفق يا ابن آدم أُنفق عليك»[٢].

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تُطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[٣].

* وعن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثًا فاحفظوه: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظُلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزًا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر»[٤].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها، كما يربي أحدكم فَلُوَّه حتى تكون مثل الجبل»[٥].

* وعنه عن النبي ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض، فسمع صوتًا في سحابة: اسق حديقة فلانٍ، فتنحَّى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حَرَّةٍ، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلانٌ، للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله لِمَ تسألني عن اسمي؟ فقال:

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٣٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣١١) كتاب الفضائل.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٣٥٢) كتاب النفقات، ومسلم (٩٩٣) كتاب الزكاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٢) كتاب الإيمان، ومسلم (٣٩) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٢٥) كتاب الزهد، وأحمد (١٧٥٧٠)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٠٢٤).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (١٤١٠) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٤) كتاب الزكاة.

إنى سمعت صوتًا فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ فقال: أما إذ قلت هذا، فإنى أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالى ثلثًا، وأرد فيها ثلثه»[(١)].

* وعن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط مُمسكًا تلفًا»[(٢)].

* وقال ﷺ: «صنائع المعروف تقى مصارع السوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة»[(٣)].

* وقال رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ سرور تُدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضى عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشى مع أخى المسلم فى حاجة، أحبُّ إلىَّ من أن أعتكف فى المسجد شهرًا، ومَن كَفَّ غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا ولو شاء أن يُمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضًا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يُفسد الخلُّ العسلَ»[(٤)].

* وعن أبى مالك الأشعرى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فى الجنة غُرفًا يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلَّى بالليل والناس نيام»[(٥)].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٨٤) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٤٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة.

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٢١٣ ، رقم ٤٢٩)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٧٩٥).

(٤) حسن: أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب قضاء الحوائج (ص ٤٧ ، رقم ٣٦)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٦).

(٥) حسن: رواه أحمد (٢٢٣٩٨)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢١٢٣).

* وقال ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار»[١].

كان رسول الله ﷺ أجود الناس

* عن أنس رضي الله عنه قال: ما سُئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجلٌ فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قومي أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة، وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يلبث إلا يسيرًا حتى يكون الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها[٢].

* وعن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاةً، فقال النبي ﷺ: «ما بقي منها؟»، قالت: ما بقي منها إلا كتفها، قال: «بقي كلها غير كتفها»[٣].

ومعناه: تصدَّقوا بها إلا كتفها، فقال: بقيت لنا في الآخرة إلا كتفها.

* وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأةً جاءت إلى رسول الله ﷺ ببُردة منسوجة، فقالت: نسجتها بيدي لأكسوكها، فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها، فخرج إلينا وإنها لإزاره، فقال فلان اكسُنيها ما أحسنها، فقال: «نعم»، فجلس النبي ﷺ في المجلس ثم رجع فطواها، ثم أرسل بها إليه: فقال له القوم: ما أحسنت، لبسها النبي ﷺ محتاجًا إليها، ثم سألته، وعلمت أنه لا يرد سائلاً، فقال: إني والله ما سألته لألبسها، إنما سألته لتكون كفني. قال سهل: فكانت كفنه[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٣٥٣) كتاب النفقات، ومسلم (٢٩٨٢) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٢) كتاب الفضائل.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٧٠) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٤٤).

(٤) صحيح: رواه البخاري (١٢٧٧) كتاب الجنائز.

* وعن أبى ذر، أن النبى ﷺ التفت إلى أحد فقال: «والذى نفسى بيده، ما يسرنى أن أحدًا تحولَّ لآل محمد ذهبًا، أنفقه فى سبيل الله، أموت يوم أموت أدعُ منه دينارين، إلا دينارين أُعدهما للدَّين إن كان»(١).

* وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه فى كل ليلةٍ من رمضان، فيُدارسه القرآن، فلرسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أجود بالخير من الريح المُرسَلة»(٢).

* وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبى ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس»(٣).

بل ها هى أمنا خديجة رضي الله عنها تشهد لحبيب الله ﷺ فى أول البعثة عندما نزل عليه الوحى لأول مرة فعاد إليها خائفًا فقالت له بكل ثقة ويقين: «والله لا يخزيك الله أبدًا. إنك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكَلَّ وتكسب المعدوم وتُعين على نوائب الحق»(٤).

فكأنها أرادت أن تقول له: كيف يُخزى الله عبدًا قد تحلَّى بتلك المكارم التى لا تجتمع أبدًا إلا لرسول الله ﷺ.

* * *

(١) حسن صحيح: رواه أحمد (٢٧١٩)، وقال العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٩٣٣).
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦) كتاب بدء الوحى، ومسلم (٢٣٠٨) كتاب الفضائل.
(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٢٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٣٠٧) كتاب الفضائل.
(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٩٥٤) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١٦٠) كتاب الإيمان.

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخلٍ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء (بستان) وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إن الله تعالى أنزل عليك: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب مالى إلىَّ بيرحاء، وإنها صدقةٌ لله تعالى أرجو برَّها وذُخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ: «**بخٍ، ذلك مالٌ رابحٌ، ذلك مالٌ رابحٌ، وقد سمعت ما قلتَ. وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين**»، فقال أبو طلحة: أفعلُ يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه، وبنى عمه[٣].

* * *

(١) سورة آل عمران: الآية: (٩٢).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٦٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٦١) كتاب الزكاة، ومسلم (٩٩٨) كتاب الزكاة.

جزاء الكرم

خرج «عمر بن عُبيد الله» يومًا - وكان من المشهورين بالكرم والسخاء - وبينما هو فى طريقه مرَّ بحديقة، ورأى غلامًا زنجيًا يجلس بجوار حائطها يتناول طعامه، فاقترب كلبٌ من الغلام، فراح الغلام يُلقى إلى الكلب بلقمة، ويأكل لقمةً، و«عمر» ينظر إليه ويتعجب مما يفعل، فسأله «عمر»: أهذا الكلب كلبك؟!

ردَّ الغلام: لا. قال «عمر»: فلِمَ تُطعمه مثل ما تأكل؟!

قال الغلام: إنى أستحى أن يرانى أحدٌ آكل دون أن يشاركنى طعامى.

أُعجب «عمر» بالغلام؛ فسأله: هل أنت حُرٌّ أم عبدٌ؟!

قال الغلام: بل أنا عبدٌ عند أصحاب هذه الحديقة.

فانصرف «عمر»، ثم عاد بعد قليلٍ، فقال للغلام: أبشر يا فتى فقد أعتقك الله! وهذه الحديقة أصبحت ملكًا لك.

قال الغلام بسعادة ورضا: أُشهدك أننى جعلت ثمارها لفقراء المدينة.

تعجب «عمر» وقال للغلام: عجبًا لك! أتفعل هذا مع فقرك وحاجتك إليها؟!

ردَّ الغلام بثقةٍ وإيمانٍ: إنى لأستحى من الله أن يجود علىَّ بشىء فأبخل به!

❊ ❊ ❊

جارٌ سعيد

كان «سعيد بن العاص» مشهوراً بكرمه وأخلاقه الطيبة، فهو يسأل دائمًا عن جيرانه وأصحابه، ولا يبخل بتقديم العون والمساعدة إلى كل من يقصده.

وكان له جار فقير طيب. وساءت أحوال ذلك الجار الطيب حتى اضطر إلى الإعلان عن بيع داره، وحينما علم الناس بذلك توافدوا على الدار لشرائها طامعين فى جوار «سعيد».

وحينما اجتمع الناس، وحضر الشهود ليشهدوا على البيع، سأله أحدهم: بكم تبيع هذه الدار؟!

أجاب الرجل: إننى أريد فيها خمسين ألف درهم.

فتعجب الناس وقالوا: هذا ثمنٌ كبيرٌ! فهذه الدار قديمةٌ ولا تساوى نصف هذا السعر!

ابتسم الرجل وقال: إننى أعرف ذلك، ولكننى لا أبيع الدار وحدها، وإنما هو ثمن الجوار.

ازداد تعجب الناس وقالوا: وهل يُباع الجوار؟!

قال الرجل: وكيف لا يباع جوار من إن سألته أعطاك، وإن سكتَّ عنه بادر بالسؤال عنك، وإن أسأت إليه أحسن إليك، وإن هجرته عطف عليك؟!

فلما علم «سعيد» بذلك أرسل إليه مائة ألف درهم، وقال له: أمسك عليك دارك، فإننى لا أرضى بجوارك بديلاً!

* * *

لا تكن بخيلاً

ذات مساء نظر الخرتيت إلى كمية كبيرة من الحشائش يخزنها فى منزله فشعر بالسعادة، وقال: إن هناك أزمة فى الطعام بين الحيوانات فى هذه الأيام، فقد تأخر المطر، وقَلَّ العُشب، ثم قال فى نشوة وسعادة: سوف أعيش فى رفاهية، إنه لشىء جميل أن تنفرد بالسعادة.

وفى الصباح قامت الغزالة من نومها فلم تجد طعامًا تأكله، قالت: لعلى أجد شيئًا يسد رمقى عند جارتى الزرافة... طرقت الغزالة باب جارتها الزرافة وقالت: السلام عليكم يا جارتى الزرافة.

الزرافة: وعليكم السلام.

الغزالة: أنا آسفة لمجيئى إليك فى هذا الوقت، ولكنى جائعة جدًّا وليس عندى ما آكله، فهل يمكن أن تعطينى شيئًا من الحشائش التى عندك.

دمعت عينا الزرافة وقالت: مرحبًا بك يا جارتى العزيزة، ولكنى والله لم أجد ما آكله منذ أمس وقد بتُّ ليلتى جائعة، هيا بنا سويًّا نبحث عن شىء نأكله.

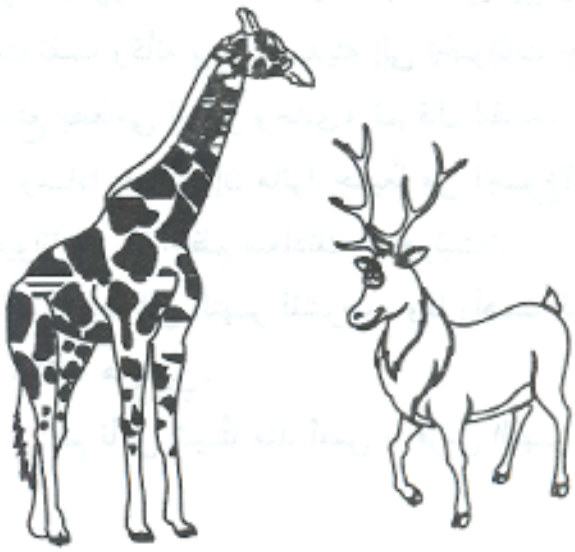

انطلقت الجارتان للبحث عن شيء تأكلانه، وفى طريقهما مرًا ببيت القرد فسألتاه عن طعام، فأجابهما أنه لا يملك إلا القليل من الموز والفول السودانى ودعاهما كى يشتركوا جميعًا فى الأكل، فاعتذرتا إليه بأنهما لا تأكلان إلا العشب.

قالت الغزالة: هيا نذهب لبيت جارنا الخرتيت.

ذهبت الصديقتان الجائعتان إلى بيت الخرتيت، وطرقتا الباب.

السلام عليكم يا صديقنا الخرتيت.

وعليكم السلام، أجاب الخرتيت وأخذ الخرتيت ينظر إليهم فى توجس البخيل من الضيف.

الغزالة والزرافة: هل عندك من طعام فإننا جائعتان جدًا؟... تصنَّع الخرتيت التعاطف، وقال: من أين لى بالطعام؟ أنتما تعلمان أن المطر قليل والعشب شحيح هذه الأيام.

الغزالة والزرافة: شكرًا لك.

الخرتيت: عفوًا ليتنى أستطيع مساعدتكما.

انصرفت الغزالة والزرافة الجائعتان وقد بدتا هزيلتين والخرتيت ينظر إليهما وهو يحدث نفسه وكأنه يوجه حديثه إلى الحيوانات جميعًا، اذهبوا عنى ودعونى أستمتع بطعامى الوفير وحدى، ثم قال لنفسه: ماذا أستفيد إن شاركونى الطعام، وماذا يضرنى إن ماتوا جميعًا من الجوع؟ طعامى الوفير يغنينى عن كل الحيوانات، ما أعظم سعادتك يا خرتيت!

ذهبت الغزالة والزرافة إلى النهر للشرب، ولما رآهما فرس النهر قال لهما: ماذا بكما؟ أراكما هزيلتين.

الغزالة والزرافة: لم نأكل شيئًا منذ أمس يا فرس النهر، فالمطر قليل، والعشب شحيح.

فرس النهر: توجد بعض النباتات المائية فى جانب النهر هل يعجبكما الأكل منه؟

الغزالة والزرافة: بالطبع فنحن جائعتان جداً.

فرس النهر: سأحاول إحضار كمية كبيرة منه.

ذهب فرس النهر إلى جانب النهر وأخذ يجمع بعض النباتات المائية وأتى بها إليهما وقال: تفضلا، هذا ما استطعت أن أجمعه، أرجو من الله أن يكفيكما.

الغزالة والزرافة: شكراً لك يا فرس النهر هذا يكفى ويزيد، وسوف نحمل الباقى معنا لأصدقائنا، فنحن نعلم أنهم لا يجدون ما يأكلون هذه الأيام.

فرس النهر: فكرة جيدة، وسوف أجمع أنا وأصدقائى كمية أخرى لمن أراد أن يأكل من الحيوانات، فلا خير فى الحياة بلا تعاون إنى لا أتصور أن أستمتع بطعامى وأنا أعلم أن أصدقائى من الحيوانات البرية يعانون الجوع، سوف أبذل كل ما فى وسعى كى أساعدكم.

الغزالة والزرافة: جزاك الله خيراً يا فرس النهر.

أخبر فرس النهر أصدقاءه من الحيوانات المائية أن جيرانهم من الحيوانات البرية يعانون الجوع وقلة الطعام، وطلب منهم جمع ما يستطيعون من النباتات المائية ووضعها على جانب النهر حتى تأكل منها الحيوانات البرية... وبالفعل تكونت فرقة عمل من الحيوانات المائية وأخذوا يبذلون ما فى وسعهم لمساعدة الحيوانات البرية... أشاع فعل فرس النهر وأصدقائه جواً من التعاون والطُّمأنينة بين الحيوانات، وقَلَّ الخوف من الجوع... وبعد أيام قليلة نزل المطر غزيراً، فأصاب الأرض وأنبت العشب، وأصاب المطر أيضًا مخزون الحشائش عند الخرتيت فأنبتت فيه الجراثيم والميكروبات، وبدأ

التعفن يظهر فيه، ومع هذا أصر الخرتيت أن يأكل من مخزون الحشائش الفاسد فأصابه المرض ولم يستطع الخروج من بيته.

وخرجت الحيوانات تحتفل بنزول المطر وظهور الحشائش وانفراج الأزمة، ملأت الفرحة القلوب وعَمَّ السرور وتبادلت الحيوانات التهانى، لكن القرد لاحظ غياب الخرتيت فقال: هل رأيتم الخرتيت اليوم؟ فقالت الغزالة: لا لم أره منذ فترة، فقال القرد: إنه أمر مُقلق أن يغيب الخرتيت عن احتفالنا هذا؟ فقالوا جميعًا: نعم.

القرد: إذن دعونا نذهب إلى بيته ونستكشف الأمر... وذهب وفد الحيوانات إلى بيت الخرتيت وطرقوا الباب.

السلام عليكم يا خرتيت.

أجاب الخرتيت بصوت ضعيف: وعليكم السلام، مَن بالباب؟

الحيوانات: نحن جيرانك يا خرتيت افتقدناك فجئنا نسأل عنك.

قام الخرتيت بصعوبة وفتح الباب وقال: تفضلوا بالدخول، أشكركم على فعلكم الكريم.

الحيوانات: هذا واجب علينا فنحن جيران.

الخرتيت: أنتم جيران وأصحاب طيبون، ثم بكى الخرتيت وقال: إنى قد منعت عنكم الزيادة من طعامى حتى فسد عندى وأصابنى بالأمراض، لقد ظننت أن الطعام الوفير سوف يغنينى عنكم ولن أحتاج إلى غيرى ولكنى عرفت الآن أن الحياة لا تصلح بغير تعاون فى السَّراء والضرَّاء... وهنا قسم الحيوانات بعضهم إلى فريقين.

حمل الفريق الأول الخرتيت إلى الطبيب، وقام الفريق الثانى بتنظيف بيت الخرتيت من مخزون الحشائش الفاسد، وقاموا بتهوية البيت وتعريضه للشمس...

وبعد أيام استرد الخرتيت عافيتـه، وانطلق مع جيرانه وأصحابه يحتفلون بظهور العشب الأخـضر الذى ملأ الغابة بالطعام والسعـادة، واحتفلوا أيضًا بعودة الخرتيت إلى التعاون والحب. . . [١].

طعامٌ بطعام

كان يا ما كان. . . كـان هناك شيخ فقير لكنه كان كـريمًا لا يرد سائلاً أبدًا مادام أنه يسـتطيع أن يعطيه أى شىء حـتى أنه كان أحيـانًا يرى رجلاً يكاد يموت من شدة البـرد فيخلع الجبة التـى يلبسها ليعطيـها لهذا الرجل البردان.

وكان أحيانًا يجلس هو وزوجته وأولاده فيمر السائـل فيقول له: ليس فى بيتى طعام فيقوم ويعطيه الطعام الذى عنده.

- وفى يوم من أيام شهر رمضـان جلس هذا الشيخ هو وزوجته وأولاده على مائدة الطعام انتظارًا لأذان المغرب. . . وفجأة جاء رجل سائل وقال له: والله لا أجـد لقـمة واحـدة لأولادى ونريد أى طعام نفطر علـيه. . . فخـرج الشيخ وأعطاه كل الطعام.

فـقـامت امـرأته وقـالت: لن أجلس فى هذا البيت وسأذهب لأسرتى الليلة.

سكت الشـيخ ولم يتكلم. . . وبينـما تُعـد الزوجـة ملابسهـا لتذهب لأسـرتها وإذا بالـباب يطرق.

---

(١) خمسون قصة تحكيها لطفلك (ص: ٩٠-٩٤) د/ عبد الله محمد عبد المعطى، د/ سيد عبد العزيز الجندى (حفظهما الله).

ففتح الشيخ الباب فوجد من يحمل أطباقًا كثيرة فيها ألوان الطعام والحلوى والفاكهة فسألهم ما الخبر؟

قالوا له: إن الرجل الغنى الذى يسكن فى القصر الكبير الذى فى أول المدينة كان قد دعا بعض الأغنياء من أصدقائه فاعتذروا بعد ما أعد لهم الطعام فحلف ألا يأكل أحد من أهله من هذا الطعام وأمر الخدم أن يحملوا هذا الطعام كله إلى دار هذا الشيخ الفقير الكريم فابتسمت الزوجة وجلست فى البيت فقال لها زوجها الشيخ الكريم: إن اليقين الذى يملأ قلبى يجعلنى أُنفق دائمًا وأنا على يقين من أن الله (جل وعلا) سيعوضنى أفضل منه فقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[1].

ثمرة الإيثار

كان يا ما كان... فى سالف الزمان... كان هناك ثلاثة من الأصدقاء وهم: أحمد ومحمود وسلمان ... وكانوا يعيشون فى قرية جميلة مليئة بالأشجار الجميلة... وكان سكان هذه القرية طيبين يحب بعضهم بعضًا حبًّا شديدًا.

وفى يوم من الأيام قالت زوجة أحمد له: يا زوجى الحبيب أنت تعلم أن العيد قد اقترب وليس عندنا ملابس جديدة لأولادنا فنريد مالاً لنشترى به ملابس أولادنا.

قال لها زوجها أحمد وقد امتلأ قلبه حزنًا وأسفًا: ليس معى مال لأشترى به ملابس جديدة لأولادنا لكن انتظرى فسوف أذهب لصديقى سلمان لأقترض منه بعض المال.

ذهب أحمد إلى صديقه سلمان وحكى له ما دار بينه وبين زوجته

---

(١) سورة سبأ: الآية: (٣٩).

وأخبره أنه يريد أن يقترض منه بعض المال.

فرحب سلمان وفرح بذلك ودخل غرفته وأخرج له كيسًا فيه ألف درهم أخذ أحمد الكيس وهو فى قمة السعادة وشكر صديقه سلمان على حسن صنيعه وإحسانه... وفى الطريق قابل أحمد صديقه محمود فقال له: كيف حالك يا محمود؟

فقال له محمود وقد ظهر الحُزن على وجهه: الحمد لله بخير.

فقال له أحمد: أشعر أنك مهموم وحزين يا محمود.

قال له محمود: نعم يا صديقى... مشكلة وأحتاج لبعض المال.

فأخرج أحمد كيس النقود الذى أخذه من سلمان وأعطاه لمحمود وقال له: خذ يا صديقى هذا المال فأنا لا أريد أن أراك حزينًا.

- وعاد أحمد إلى زوجته فقالت له: هل أحضرت المال يا أحمد؟

فأخبرها أحمد بما حدث فابتسمت زوجته وقالت له: بارك الله فيك فأنا سعيدة لأنك فرجت همَّ أخيك المسلم.

وبعد ساعة سمع أحمد صوتًا يطرق على باب البيت فأسرع وفتح الباب فوجد صديقه سلمان فسلم عليه ورحب به وأدخله البيت، فقال له سلمان: أين المال الذى أخذته منى يا أحمد؟

فقال له أحمد: لقد أعطيته لصديقنا محمود لأنه كان فى حاجة إليه فضحك سلمان من أعماق قلبه.

فتعجب أحمد وقال له: لماذا تضحك يا سلمان؟!

قال له سلمان: لقد كنت فى أزمة شديدة فطلبت هذا المال من محمود فأعطانى هذا الكيس فجئت أنت وطلبت منى مالاً فأعطيتك الكيس مع شدة احتياجى له ثم أعطيته أنت لمحمود وفضلته على نفسك مع شدة احتياجك لهذا المال وإذا بمحمود يفضلنى على نفسه ويرسل المال بعدما أخذه منك

فضحك أحمد وسلمان... ثم قال له سلمان: هيا بنا نذهب إلى محمود ونقسم هذا المال بيننا جميعًا عسى أن يبارك الله لنا فى هذا المال.

وعلم حاكم القرية بقصة الأصدقاء الثلاثة: أحمد ومحمود وسلمان، فقال الحاكم لكبير الحراس: اذهب وأحضر هؤلاء الثلاثة.

فذهب كبير الحراس وأخبرهم بأن حاكم القرية يريدهم فخافوا وقالوا: نحن لم نفعل أى شىء فماذا يريد منا حاكم القرية؟

قال كبير الحراس: لا أدرى ولكنه يريدكم الآن.

ذهب الأصدقاء الثلاثة مع كبير الحراس إلى الحاكم وعندما وصلوا إلى القصر أمر الحاكم بإدخالهم على الفور.

قال لهم الحاكم: لقد علمت بما فعلتم وسعدت جدًا لهذا الإيثار الذى كان بينكم ولذا سأقدم لكل واحد منكم مكافأة يبلغ قدرها عشرة آلاف درهم جزاء على ما فعلتموه... بل وسأعطى زوجة أحمد أيضًا مكافأة لأنها لم تشعر بالحزن عندما أعطى المال لصديقه محمود.

ففرح الأصدقاء الثلاثة بهذه المكافأة... وفرحت زوجة أحمد أيضًا وعلموا أن هذا جزاء الإيثار ومحبة الآخرين.

«والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه».

* * *

الصبر

الصبر

حبايبى الحلوين: وها هو خُلقٌ عظيم من أخلاق الرسول ﷺ ينبغى أن نتحلى به.. ألا وهو خُلق الصبر.

* وما أجمل أن يكون المسلم صابراً... فالصبر نصف الإيمان وذلك لأن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر.

* ابنى الحبيب: ألا تريد أن تفوز بمحبة الرحمن (جلَّ وعلا)؟ فعليك بالصبر... فقد قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[١].

والصبر طريق للإمامة فى الدين، فبالصبر واليقين تنال تلك الإمامة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٢].

والصبر خير كله إذا كان ابتغاء وجه الله، فالصابر فى معية ربه، عليه من الله صلوات ورحمة.

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[٣].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع نعمة الصبر.

* * *

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٤٦).
(٢) سورة السجدة: الآية: (٢٤).
(٣) سورة البقرة: الآيات: (١٥٥-١٥٧).

نعمة الصبر

ابنى الحبيب.. ابنتى الغالية:

إن الحياة لا تخلو أبداً من الابتلاءات والشدائد وذلك لأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان... ولن تكون الراحة الكاملة إلا فى جنة الرحمن (جلَّ وعلا).

قال الحق تبارك وتعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾(١).

وقال ﷺ: «من يُرد الله به خيراً يُصب منه»(٢).

ولذلك لا بُدَّ أن تعلم يا ابنى أن طريق الجنة هو الصبر.

ولذا قال ﷺ: «حُفت الجنة بالمكاره، وحُفت النار بالشهوات»(٣).

والمكاره لا بد لها من الصبر.

والخلاصة أن البلاء سنة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل.

يقول تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾(٤).

* ومن أجل أن نصبر على الابتلاءات فى الدنيا جعل الحق (جلَّ وعلا)

---

(١) سورة العنكبوت: الآيات: (١-٤).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٦٤٥) كتاب المرضى.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٨٢٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) سورة البقرة: الآيات: (١٥٥-١٥٧).

ثواب الصابرين ليس له حدود، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١].

وقال ﷺ: «وما أُعطى أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر»[٢].

* فيجب علينا إذا فقدنا أحبابنا أو أموالنا أو ابتلانا الله بالأمراض والأسقام أن نصبر ونحتسب لنفوز بثواب الصابرين الراضين بقضاء الله (جلَّ وعلا).

صبراً يا أحبابى

ابنى الحبيب: إذا مات واحد من أحبابك فاصبر واحتسب لتفوز بالجنة فقد قال تعالى: «ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»[٣].

* وإذا أُصبت بأى مرض فاصبر واحتسب لتفوز بثواب الصابرين.

عن أبى سعيد وأبى هريرة رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نَصَب، ولا وَصَب، ولا همٍّ، ولا حَزَن، ولا أذى، ولا غمٍّ، حتى الشوكة يُشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه»[٤].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يُرد الله به خيراً يُصب منه»[٥].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبده الخير

---

(١) سورة الزمر: الآية: (١٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٦٩) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٥٣) كتاب الزكاة.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤٢٤) كتاب الرقاق.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٤٢) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) صحيح: وقد تقدم.

عجَّل له العقوبة فى الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يُوافَى به يوم القيامة»[١].

وقال ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة»[٢].

* وإن حُرمت من المال وعانيت من الفقر فاصبر وسوف تنسى كل شقاء وبلاء وحرمان مع أول غمسة فى الجنة.

قال ﷺ: «يُؤتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ فى جهنم صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويُؤتَى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ فى الجنة صبغة؛ فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مرَّ بى بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»[٣].

* ولا بد أن نعلم أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وأن النعيم الكامل واللذة الدائمة فى جنة الرحمن (جلَّ وعلا).

* ونحن نعلم كيف عانى الأنبياء والصالحون من شدة الابتلاء ومع ذلك كانوا فى قمة الصبر والرضا.

قال ﷺ: «أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل. يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان فى دينه صُلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقةٌ ابتُلى على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة»[٤].

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٣٩٦) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٢٢٠).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٩) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٢٨٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٢٣) كتاب الفتن، وأحمد (١٦١٠)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٤٣).

* بل نحن نعلم كيف عانى النبى محمد ﷺ من شدة الابتلاءات ومع ذلك كان صابراً على البلاء راضيًا عن قضاء رب الأرض والسماء (جلّ وعلا) فيجب أن نصبر كما صبر النبى ﷺ فهو أسوتنا وقدوتنا.

الرضا بقضاء الله

كان ياما كان.

كان هناك رجل طيب يعيش فى البادية... وكان اسمه سلمان وكان يعيش مع زوجته وأولاده فى بيت بسيط لكنه جميل وكان عنده فى بيته ديك وكلب وحمار.

فكان الديك يوقظهم للصلاة وكان الكلب يحرسهم وكان الحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خيامهم.

وفى يوم من الأيام جاء الثعلب المكار فأخذ الديك فحزن أهل البيت عليه كثيراً... فقال عم سلمان: الحمد لله على كل حال... عسى أن يكون خيراً.

وبعد هذا الحادث بعدة أيام جاء الذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزن أهل البيت عليه كثيراً.. وإذا بعم سلمان يقول: الحمد لله على كل حال.. عسى أن يكون خيراً.

ثم لم يمر على هذا الحادث أسبوع حتى أصيب الكلب بحجر فمات فحزن أهل البيت عليه كثيراً.. وإذا بعم سلمان يقول: الحمد لله على كل حال. عسى أن يكون خيراً.

* ومرت الأيام... وفى ليلة من الليالى جاءت عصابة من اللصوص فدخلوا كل البيوت وسرقوا المال والمتاع بل وأخذوا الأطفال الصغار ولم يدخلوا بيت عم سلمان.. وذلك لأنهم كانوا يعرفون البيوت من صوت

الديك أو الكلب أو الحمار.

أما بيت عم سلمان فلم يكن فيه ديك أو كلب أو حمار فكان موتهم رحمة على بيت عم سلمان.. فقد كان موتهم سببًا فى عدم دخول اللصوص بيت عم سلمان.. ولذلك كان عم سلمان يقول فى كل مرة: الحمد لله على كل حال... عسى أن يكون خيرًا.

لعله خير

كان ياما كان... كان هناك ملك عنده وزير مستقيم وحكيم وكان هذا الوزير يتوكل على الله فى جميع أموره إلى أن حدثت هذه الحادثة....

انقطع للملك فى يوم من الأيام أحد أصابع يده وخرج الدم من يده، وعندما رآه الوزير قال: لعله خير إن شاء الله، وعند ذلك غضب الملك على الوزير، وقال: أين الخير والدم يجرى من إصبعى؟...

وبعدها أمر الملك بسجن الوزير: وما كان من الوزير إلا أن قال كعادته لعله خير وذهب للسجن!!

وكعادته كان الملك فى كل يوم جمعة يذهب إلى النزهة... وفى آخر النزهة حط رَحله قريبًا من غابة كبيرة وبعد استراحة قصيرة دخل الملك الغابة، وكانت المُفاجأة أن الغابة بها ناس يعبدون صنمًا وكان ذلك اليوم هو يوم عيد الصنم، وكانوا يبحثون عن قُربان يقدمونه للصنم... وصادف أنهم وجدوا الملك فلم يعرفوه وألقوا القبض عليه لكى يقدموه قُربانًا إلى آلهتهم... وقد رأوا إصبعه مقطوعًا وقالوا: هذا فيه عيب ولا يُستحسن أن نقدمه قربانًا وأطلقوا سراحه..!!

حينها تذكر الملك قول الوزير عند قطع إصبعه: لعله خير.

بعد ذلك رجع الملك من الرحلة وأطلق سراح الوزير من السجن وأخبره

بالقصة التى جرت عليه فى الغابة. . . وقال له فعلاً كان قطع الأصبع خيراً لى . . ولكن سوف أسألك سؤالاً واحداً: وأنت ذاهب إلى السجن سمعتك تقول: لعله خير . . . وأين الخير وأنت ذاهب إلى السجن؟!!

قال الوزير: أنا وزيرك ودائمًا معك ولو لم أدخل السجن لكنت معك فى الغابة وبالتالى قبضوا علىَّ عَبَدَة الصنم وقدمونى قُربانًا لآلهتهم وأنا لا يوجد بى عيب. . . ولذلك دخولى السجن كان خيراً لى!!

بل هو خير لكم

على شاطئ بحر جميل. . . كان هناك ثلاثة إخوة يمتلكون سفينة صغيرة تنقل المسافرين.

وفى يوم من الأيام كانت هذه السفينة واقفة على شاطئ البحر تستعد لنقل المسافرين. .

وكان أصحاب السفينة ينتظرون حتى تمتلئ السفينة، وأثناء ذلك رأوا شيخًا كبيراً يقف بالقرب من السفينة، ويحمل فى يده حقيبة. . . لكنه لم يركب.

اقترب أحد الإخوة من الشيخ الكبير وقال له: لماذا لم تركب السفينة معنا، فنحن سوف نتحرك الآن؟

قال الشيخ الكبير: ليس معى نقود الآن... وقد كنت دائمًا أسافر مع أبيكم... وأعطيه النقود بعد ما أعود من السفر.

قال أحد الإخوة: مرحبًا بك ستسافر معنا ولن نأخذ منك شيئًا..

فرح الشيخ الكبير وركب السفينة... وبدأت السفينة تتحرك داخل البحر... وجلس الشيخ الكبير فى السفينة يصنع صندوقًا صغيرًا.. فأخرج بعض الأخشاب من حقيبته وراح يدق بالشاكوش...

وفجأة سقط الشاكوش من يده على ظهر السفينة فأحدث ثُقبًا فيها...

وبدأ الماء يدخل من الثقب إلى السفينة.. وأخذ الشيخ الكبير يحاول أن يمنع دخول الماء لكنه لم يستطع...

ورأى ركاب السفينة الماء يتسرب إلى السفينة فصاحوا: النجدة... النجدة..

وحاول جميع الركاب أن يسدوا الثقب لكنهم لم يستطيعوا ... واستمر الماء فى التسرب أكثر وأكثر..

قال الركاب للشيخ الكبير: أنت السبب.. سنغرق كلنا بسببك..

وأثناء ذلك شاهد الركاب مجموعة من السفن تقترب منهم..

وبسرعة بدأ الركاب يشيرون بأيديهم ويطلبون النجدة..

وكانت هذه السفن يمتلكها جماعة من اللصوص، وكانوا يسرقون السفن الجيدة.. فاقترب اللصوص من السفينة وعندما رأوا الماء فى قاع السفينة..

قالوا: هذه سفينة قديمة ستغرق ولن نستفيد منها، ثم ذهبوا وتركوا السفينة.. فرح ركاب السفينة لأنهم نجوا من اللصوص الأشرار..

قال الشيخ الكبير: علينا أن نُخرج الماء من السفينة بسرعة..

وبينما كان الركاب مشغولين بإخراج الماء رأوا طائرًا كبيرًا يطير فى السماء ويُمسك بمنقاره لفافة كبيرة من القماش.. وحوله طيور تهاجمه،

وتحاول خطف اللفافة. . . وفجأة سقطت لفافة القماش على السفينة. . فأسرع أحد الركاب وأمسك لفافة القماش.

وقال: إن هذا القماش أفضل ما يسد ثقب السفينة. .

وبالفعل تم سد الثقب. . وتوقف تسرب الماء. .

قال الشيخ الكبير: لقد استجاب الله لدعائنا. . لذلك يجب على كل من معه نقود أن يتبرع ببعض المال لينفق فى أعمال الخير حمداً لله. .

جمع الركاب عشرة دنانير وقرروا توزيعها على الفقراء والمساكين. .

وعندما توقفت السفينة على الشاطئ نزل الركاب. . . فرأوا امرأة تبكى بشدة، فقال الشيخ الكبير للمرأة: لماذا تبكين هكذا؟

قالت المرأة: كان معى قطعة كبيرة من القماش كنت سأخيطها ثم أبيعها فى السوق. .

وبينما كنت أشرب من هذا البئر جاء طائر وخطف قطعة القماش وطار بعيداً. .

فقال لها الشيخ الكبير: كم ثمن قطعة القماش؟

قالت المرأة: ثمنها دينار كنا سنعيش به طوال الأسبوع أنا وأبنائى الصغار.

رجع الشيخ الكبير إلى الركاب وحكى لهم قصة المرأة.

فقال أحد الرجال: إن قطعة القماش هى التى جعلها الله سبباً فى إنقاذنا من الغرق.

وقال رجل آخر: إذاً علينا أن نعطيها النقود التى جمعناها. . .

وأعطى أصحاب السفينة الدنانير العشرة للمرأة.

ففرحت المرأة كثيراً وحمدت الله تعالى. .

* * *

علمنى أبى

دخل الأب على أولاده فوجد عبد الرحمن يبكى وقد أمسك المصحف بيده.

فسأله: ما يبكيك يا ولدى؟

قال: أحاول ساعة كاملة يا أبى أن أحفظ سورة الطلاق ولا أستطيع حفظها... يا أبى إنى لن أحفظها.

فابتسم الأب وقال: اصبر يا ولدى فإن الصبر مُرٌّ مذاقه لذيذة عاقبته ونهايته، وقد قال رسول الله ﷺ: «ومن يتصبر يُصبره الله وما أُعطى أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر»[1].

عبد الرحمن: كيف أصبر يا أبى لأنال هذه النهاية اللذيذة؟

الأب: الصبر يا ولدى هو ثباتك على ما يُرضى الله بدون شكوى ولا ضيق مع استعانتك بالله.

واعلم يا ولدى أن النصر والصبر أخوان لا يفترقان فإن الصبر معه النصر وإن النصر مع الصبر.

فالتفَّ الأولاد حول أبيهم الذى قال: سأحكى لكم قصة جميلة نتعلم منها «أن النصر مع الصبر». حمل «العم جاد» الصياد شبكته واتجه إلى شاطئ البحر... حاول العم جاد الصيد مرات ومرات ولكن محاولاته ضاعت فى الهواء، نظر العم جاد الصياد إلى الشبكة بغيظ وقال: ماذا أفعل بك أيتها الشبكة؟ هل أمزقك وأستريح من صحبتك المرهقة؟ أو أحرقك وأهجر الصيد؟

لقد صحبتك إلى كل الشواطئ فلم أعثر على سمكة واحدة... وانفجر

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٦٩) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٥٣) كتاب الزكاة.

الرجل باكيًا، وبعد لحظات تذكَّر العم «جاد الصياد» أنه كان منذ أسبوع تقريبًا فى هذا المكان، وكانت الشمس تميل إلى ناحية الغروب... ساعتها كان العم «جاد الصياد» جالسًا يستريح من ثِقل ما حمله من خيرات الله التى صادها بشبكته ولكنه اليوم يعود بلا صيد وبلا خير وفجأة... لمح «العم جاد الصياد» نملة وهى تحاول أن تحمل حبة من حبوب القمح إلى جحرها.

كانت الحبة أكبر حجمًا من النملة ولكنها كانت تحاول بصبرٍ عجيب، تارة تدفعها وأخرى تجرها، وثالثة ترفعها.

وبعد جهد شاق استطاعت النملة أن ترفع الحبة وتمضى بها تسحبها على جانب صخرة من الصخور حيث كان جحر النملة موجودًا فوق الصخرة مباشرة...

وما كادت النملة تصل إلى باب الجحر عند قمة الصخرة حتى انزلقت الحبة وسقطت من جديد على الأرض بجوار الصخرة... ولم تيأس النملة وعادت من جديد تدور حول الحبة تجذبها تارة وتدفعها تارة أخرى وترفعها ثالثة.

وتكررت عملية انزلاق الحبة أكثر من خمس عشرة مرة، والنملة لا يقل حماسها ولا تضعف عزيمتها عن مواصلة العمل والمحاولة حتى استطاعت فى النهاية أن تصل إلى الجحر وأن تُدخل الحبة لتكون زادها المدخر من الصيف للشتاء.

نظر العم «جاد الصياد» إلى النملة بإعجاب ونظر إلى البحر الواسع وحمل بيمينه الشبكة وبخطوات كلها عزم وثبات اتجه الرجل إلى شاطئ البحر يحدوه الأمل فى رحمة الله الوهاب، وعاد - بحمد الله - فى آخر اليوم وهو يحمل من خيرات الله من البحر الشىء الكثير.

أنس: إن الصبر خُلق عظيم، صاحبه هو المنتصر دائمًا.

عبد الرحمن: سأصبر يا أبى وأحاول حفظ السورة مرة ثانية.

وبعد نصف ساعة جاء عبد الرحمن مسروراً فرحًا إلى أبيه.

أبشر يا أبى فقد حفظت سورة الطلاق... شكرًا لك يا أبى فقد انتصرت... وإن طعم النصر لذيذ كما وعدتنى.

فاحتضن الأب عبد الرحمن وهو يمسح رأسه ويقول: بارك الله فيك يا ولدى بارك الله فيك(١).

علمتنى أمى

لقد علمتنى أمى الكثير والكثير فهى بحق مدرسة عظيمة وإنى أدين لها بالكثير، فكم غرست فىَّ من بذور الحب والعلم والخير، وسقَت هذا الغرس وتعهدته ضد الأخطار التى تهدده حتى أثمر خير الثمار.

وكان مما علمتنى قوله تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾(٢).

فالله سبحانه وتعالى يختبر عباده ليعلم مَن منهم الصادق الذى يحب الله ورسوله ويصدق وعد الله بأنه لو صبر لنال النصر، ومَن منهم الكذاب الذى يخاف عند أول مصيبة ويرجع ولا يستمر فى الطاعة.

فالله يختبر عباده مثلاً بالخوف عند الحرب من الأعداء وشىء يسير من الجوع ونقص المال والمرض (نقص الأنفس) ونقص الثمرات بالحرق أو البرد أو غيرها.

---

(١) الصبر/ د. إبراهيم الشربينى (ص: ٥-٧).

(٢) سورة البقرة: الآيات: (١٥٣-١٥٧).

فعندما تقع مصيبة من تلك المصائب كنقص المال مثلاً ينقسم الناس إلى فريقين:

١- الفريق الأول هم الصابرون، فالصابر من صفاته أنه لا يشتكى لأحد بل يقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون)، ولا يخاف ولا يغضب بل يحمد الله ويعلم أن هذه المصيبة هى خير له وسبب فى تكفير ذنوبه ويعلم أن النصر مع الصبر فيصبر ويرضى حتى تنتهى المحنة... وهؤلاء وعدهم الله بالرحمة والهدى.

٢- الفريق الثانى: هو الفريق الذى يجزع (يخاف) ويغضب ويسخط على قضاء الله ويشتكى للناس ولا يحمد الله فهذا الفريق خسر أشد الخسارة فقد خسر أجراً عظيمًا وهو أجر الصابرين كما أنه لم ينجح فى الامتحان فيغضب الله عليه.

فمنذ أن تعلمت من أمى هذا الخلق العظيم «الصبر» وأنا أُعدُّ نفسى لاستقبال البلاء لأفوز بأجر الصابرين فإن الله يوفيهم أجرهم بغير حساب.

وكلما أرادت نفسى أن تترك الصبر ذكَّرتُها بأم المؤمنين وقصتها الرائعة فهى قدوة حسنة وهى أم سلمة رضي الله عنها.

فقد ابتلاها الله بفقد زوجها الحبيب فى إحدى الغزوات مع رسول الله ﷺ.

فاز أبو سلمة بجائزة الشهادة ولكن شعرت أم سلمة بألم فراق الزوج رفيق كفاحها وجهادها فى سبيل الله فوسوس إليها الشيطان لتترك الصبر ولكن... تذكرت كلمات سمعتها من خير بنى آدم محمد ﷺ وهو يقول: «**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيراً منها، إلا آجره الله فى مصيبته وأخلف له خير منها**»، فقالت أم سلمة كما أمرها رسول الله ﷺ وصبرت ولكن كانت

تقول فى نفسها: ومن خير من أبى سلمة؟!!

فأخلف الله لها خيـراً من أبى سلمة... رسول الله ﷺ: ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ (١)(٢).

ما الذى يخفف عليك ثِقل البلاء

أما عن الأمور التى تخفف عن المريض ثِقل البلاء فهى كثيرة... ونذكر منها ما يلى:

١- معرفـة أن الله يحبك: «إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه»، وإذا أحبك الله جاءت ثمرة المحبة «كنت سمعه الذى يسـمع به وبصره الذى يُبصر به ويده التى يبطش بهـا ورجله التى يمـشى بهـا، ولـئن سـألنى لأُعطينَّه، ولـئن اسـتعـاذنى لأُعيذنَّه» (٣).

٢- مـلاحظة حُسن الجـزاء فلو جـاءك رجل وقال: سـأضربك ضـربة بيدى، ثم أعطيك مـائة ألف جنيه، فهل سـتشعر بـألم الضربة؟! بالطبع لا (ولله المثل الأعلى). فلك أن تتخيل أن الله يبتليك ويقول لك: إن ثمن هذا البلاء هو الجنة!! لا شك أن حلاوة الأجر ستُنسيك مرارة الألم.

٣- انتظار الفرج: فإنك إذا جاءك المرض تكون بين حالين، إما أن تموت صابرًا محتسبًا فلك الأجر العظيم، وإما أن تُشـفى محتسبًا أيضًا فلك سعادة الدارين... واعلم أن الله لطيفٌ بعـباده... ومن لُطفـه تعالى بعـباده أن تكون أنت فى قمة البلاء، وعلى الرغم من ذلك يُلقى الله فى قلبك الراحة والرضا بقضاء الله والثقة فى الأجر والثواب من عند الله تعالى.

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٢٢).

(٢) الصبر (ص: ٨-١٠).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢ ٠ ٦٥) كتاب الرقاق.

٤- تهوين البَلِيَّة: وذلك بأن تحمد الله على أن البلاء فى الدنيا وليس فى الدين، وتحمده أيضًا أنه لم يكن أشد من ذلك.

٥- سماع سير أهل البلاء: فإن ذلك يُهوِّن عليك البلاء. وذلك لأن سماع سيرتهم يجعل الإنسان يشعر بأن هناك مَن ابتُلى بمثل هذا البلاء - فيتصبر بسيرته -.

* * *

التعـاون

التعاون

حبايبى الحلوين: وها هو خُلق عظيم من أخلاق النبى محمد ﷺ ينبغى أن نتحلى به.. ألا وهو خُلق التعاون فالتعاون نعمة عظيمة لأن المسلم قليلٌ بنفسه كثيرٌ بإخوانه ضعيفٌ بنفسه قوىٌّ بإخوانه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع خُلق التعاون.

نعمة التعاون

هل فكرت يومًا ماذا سوف يحدث إذا توقَّف أفراد المجتمع عن إعانة المحتاج؟ تخيَّل جريحًا مُلقًى بوسط الطريق يتألَّم ويمرُّ به السائرون فمنهم من يخاف أن تعطِّله مساعدته عن عمله ومنهم من يُسرع فى طريقه قائلاً: يُوجد آخرون غيرى سوف يساعدونه فمالى أنا وتلك المشكلة؟! مسكينٌ هذا الشخص، إن هذا الحادث لا يمكن أن يحدث لى أنا بالتأكيد!!».

وما أسهل كسر حزمة من العصى إذا كسرتها واحدةً بعد أخرى وما أصعب كسرها مجتمعة.

لقد أدركت الحيوانات والحشرات ذلك بفطرتها فتراها تعيش فى جماعات لا ينفصل أفرادها، يؤدِّى كلٌ منهم عمله فى إخلاصٍ ويعاون الآخرين من أجل بقاء جماعته.

ولكن هل هذا هو كل شىء عن خلق التعاون؟ اقلب الصفحة لتعرف الكثير عن هذا الخلق العظيم.

* * *

المسلم أخو المسلم

حَثَّ الإسلام على خُلق التعاون ودعا إلى التحلى به، حيث ربط بينه وبين وحدة المسلمين وترابطهم، فيقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (١). كما يُرشد القرآن الكريم إلى الأسلوب الصحيح للتعاون والمعنى الحقيقى له فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (٢).

ويأتى رسولنا الكريم ﷺ فيكون قدوة للناس فى التعاون قولاً وفعلاً فيقول النبى ﷺ عن التعاون: «المسلم أخو المسلم لا يَظلمه ولا يُسلمه، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربةً فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة» (٣). ويصف النبى ﷺ تعاون المؤمنين فيقول: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» (٤).

ويقول أيضًا: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (٥).

ويَعِدُ النبى ﷺ من يعاون أخاه بعون من الله سبحانه فيقول: «الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه» (٦)(٧).

* * *

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٠).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٤٢) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢٥٨٠) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨١) كتاب الصلاة، ومسلم (٢٥٨٥) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١١) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٧) التعاون (ص: ٣-٤) - الأستاذة: أسماء محمد - شركة سفير.

النبى ﷺ يحض الأمة على خُلق التعاون

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا».

قال: يا رسول الله، هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: «تأخذ فوق يديه»[١].

* وعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الأشعريين إذا أرملوا [٢] فى الغزو أو قَلَّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية، فهم منى وأنا منهم»[٣].

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ ، فقال: يا رسول الله، أىُّ الناس أحبُّ إلى الله تعالى؟ وأى الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ : «أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرورٌ تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة أو تقضى عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشى مع أخى فى حاجة أحب إلىَّ من أن أعتكف فى هذا المسجد» يعنى مسجد المدينة - شهرًا، «ومن كَفَّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يُمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه فى حاجةٍ حتى يثبتها له أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام»[٤].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٤) كتاب المظالم والغصب.

(٢) أرملوا: أى فنى طعامهم.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٨٦) كتاب الشركة، ومسلم (٢٥٠٠) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) حسن: أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب قضاء الحوائج (ص ٤٧ ، رقم ٣٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٦).

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويلٌ لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه»(١).

* وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ، كان إذا أتاه السائل أو صاحب الحاجة، قال: «اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان رسوله ما شاء»(٢).

* وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: إنه طلب غريمًا له فتوارى عنه ثم وجده، فقال: إني معسر.

فقال: آلله؟

قال: آلله.

قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سرَّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه»(٣).

* وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أتى الله بعبد من عباده آتاه الله مالاً، فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟ قال: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾(٤)، قال: يا رب، آتيتني مالَك فكنت أبايع الناس وكان من خُلُقي الجواز(٥)، فكنت أتيسر على الموسر وأُنظر المعسر، فقال الله: أنا أحق بذا منك، تجاوزوا عن عبدي»(٦).

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه (٢٣٧) في المقدمة، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٣٣٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٣٢) كتاب الزكاة، ومسلم (٢٦٢٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٥٦٣) كتاب المساقاة.

(٤) النساء: الآية: (٤٢).

(٥) الجواز: التسامح والتساهل.

(٦) صحيح: رواه مسلم (١٥٦٠) كتاب المساقاة.

حال النبى ﷺ مع خُلق التعاون

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبى ﷺ يكون فى مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة»(١).

* عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «كان النبى ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو اغبرَّ بطنه يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سَكينة علينا
وثبِّت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا
إذا أرادوا فتنة أبينا

ويرفع بها صوته: **أبينا أبينا**»(٢).

* وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه كان يخطب فقال: «إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ فى السفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير»(٣).

* * *

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٠٣٩) كتاب الأدب.
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤١٠٤) كتاب المغازى، ومسلم (١٨٠٣) كتاب الجهاد والسير.
(٣) أخرجه أحمد (١/ ٦٩ ، رقم ٥٠٤) ، والبزار (٢/ ٥٩ ، رقم ٤٠١)، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن.

الجسد الواحد

كان ياما كان.

كان هناك مجموعة من الإخوة ولكنهم كانوا متفرقين ومتنازعين وكان أبوهم يوصيهم بأن يجتمعوا ويتآلفوا ولكنهم كانوا مُصرين على الفُرقة والتنازع.

جلس أبوهم وهو فى غاية الحزن والألم لحال أولاده.

وظل يفكر ويقول فى نفسه: كيف أستطيع أن أجعل أولادى متآلفين متحابين.

وفجأة قال بعد تفكير عميق: الحمد لله لقد وجدتها.

فنادى على أولاده بعدما أحضر حزمة من الحطب وقال لكل واحد منهم: أريدك أن تكسر حزمة الحطب وحدك.

فأخذ كل واحد منهم يحاول أن يكسر حزمة الحطب فلم يستطع فقام أبوهم وفكَّ حزمة الحطب وأعطى كل واحد منهم قطعة واحدة فكسرها بسهولة.

فقال لهم أبوهم: هذه رسالتى لكم.. فإنكم إن اجتمعتم وتحابيتم كنتم كهذه الحزمة القوية لا يستطيع أعداؤكم أن يكسروكم وإن تفرقتم فإنه يسهل عليهم أن يكسروكم.

فقال الأولاد: لقد تعلمنا الدرس جيداً.. ومن الآن سوف نجتمع ونكون إخوانًا وأحبابًا فإن الاتحاد قوة.

* * *

الاتحاد قوة

كان ياما كان... كان هناك أربعة أصدقاء: أرنب وسلحفاة وديك وزرافة.

وقف الأرنب والسلحفاة والديك والزرافة أمام شجرة التفاح فرأوا تفاحة تتدلى من أحد الأغصان.

فقال الأرنب: هذه التفاحة لى وحدى.

فقالت له الزرافة فى سخرية: إنها من حقى؛ لأنى أطول منك وأستطيع أن أقطفها، انظروا ماذا سأفعل؟

ومدت الزرافة رقبتها الطويلة؛ لكى تقطف التفاحة لكنها فشلت فى قطفها فقد كان غصن التفاحة عاليًا جدًا.

فقال الديك: أنا سوف أقفز وأطير بجناحى وآتى بها.

فقفز الديك: ولكنه فشل فى الحصول عليها.

انسحبت السلحفاة وهى تقول: سوف أحصل عليها بأى طريقة.

فنادى عليها الديك والزرافة والأرنب وقالوا لأنفسهم: هيا بنا نذهب

جميعًا إلى حكيم الصحراء (الجمل) لنحكى له ونأخذ رأيه.

وبعدما استمع الجمل إلى مشكلة التفاحة هز رقبته وقال لهم: إن الاتحاد قوة، وبالتعاون تبلغون الآمال، فإذا ما تعاونتم واشتركتم لأصبحتم يدًا واحدة. وانتهت الصعاب، وبلغتم ما ترجونه جميعًا بأسهل طريقة.

فقالوا جميعًا: وماذا نفعل كى نحصل على التفاحة؟

فقال لهم الجمل: سآتى معكم، ولنرى جميعًا فائدة التعاون.

فقالوا جميعًا: هيا بنا.

وساروا جميعًا حتى وصلوا إلى شجرة التفاح.

ثم قال الجمل للزرافة: قفى أنتِ تحت شجرة التفاح؛ ولتصعد السلحفاة فوق رأسك ويقف الأرنب على ظهر السلحفاة ويصعد الديك فوق ظهر الأرنب.

ففعلوا كما أشار عليهم الجمل وأخذ الديك التفاحة ثم أعطاها للجمل فقسمها بين الأربعة فأكلوا وسعدوا جميعًا.

صور التعاون

* معاونتك فى رعاية إخوتك الصغار وتلبية طلبات الأسرة تمثل معاونة نافعة لأسرتك.

* مساعدتك فى تفريج كرب المدين وإعانة المحتاج تمثل خدمة لمجتمعك.

* الاتحاد مع زملائك لأداء عملٍ نافعٍ يمثل خدمة ومنفعة لك ولجماعتك.

* إماطتك الأذى عن الطريق وكفُّه عن الناس تمثل معاونة لأفراد مجتمعك.

* طاعتك لوالديك ومعلمك تمثل معاونة لهم فى تنشئتك.

* دفعك للظلم عن المظلوم ونصره على ظالمه تمثل معاونة منك فى نصرة الحق.

* معاونة إخوانك فى ترك المعصية وسلوك طريق الخير تمثل معاونة منك فى دعم مجتمعك الإسلامى ودينك.

* محافظتك على البيئة والممتلكات العامة والمرافق تمثل معاونة لمجتمعك ووطنك.

والآن تعاون مع أصدقائك فى اكتشاف صورٍ أخرى للتعاون[١].

* * *

(١) التعاون (ص: ٩).

تعاون .. ولكن

* لا تدَّعى القدرة على أداء ما لا تستطيع القيام به.
* لا تتخذ التعاون حجة للتدخل فى شئون الآخرين بل قدِّم المساعدة لمن يحتاجها فقط.
* لا تُفاخِر بعونك مَن عاونته.
* راعى أن يكون نصيبك من العمل مساويًا لنصيب أصدقائك.
* قدِّم المساعدة فى الوقت المناسب وليس بعد أو قبل ذلك.
* لا تنتظر مقابلاً لتعاونك إلا من الخالق سبحانه وتعالى.
* اعرف الفرق بين من يحتاج معاونتك ومن يريد استغلالك.
* ابدأ بمعاونة أهل بيتك أولاً.
* تعاون فى الخير فقط اتباعًا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[١].

ثمار التعاون

* تعاونك مع إخوانك يزيد المحبة بينكم.
* أنت أقوى وسط إخوانك منك وحدك.
* تقسيم العمل بينك وبين إخوانك يعنى مجهودًا أقل ووقتًا أقل.
* يكون الله فى عونك دائمًا ما دمت فى عون إخوانك.
* يجزيك الله حسن ثواب الآخرة عن عونك لإخوانك.
* العمل الجماعى يتيح تعدد الآراء مما يساعد على إخراج العمل فى أحسن صورة.

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٢).

* بتحلّيك وإخوانك بخلق التعاون تسهم فى إظهار مجتمعك بمظهرٍ متحضر.

* بتحليك بخلق التعاون تتحلى بصحبةٍ أخرى من الأخلاق الكريمة كالإيثار والعطف والرحمة[١].

* * *

(١) التعاون (ص: ٦-٧).

العفو والصفح

العفو والصفح

حبايبى الحلوين: وها هو خلق عظيم من أخلاق الرسول ﷺ ينبغى أن نتحلى به... ألا وهو خُلق العفو والصفح.

* وما أجمل أن نعفو عن الناس ونسامح ونصفح عمن أساء إلينا.. فهذا من أعظم الأبواب لجلب المودة والمحبة بين العباد.

* **قال الله تبارك وتعالى:** ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (١).

فإذا قذفك شخص بمسبَّة فاقذفه بالعفو عنه واقذفه بالكلام الطيب.

إذا أساء شخص إليك فأحسن إليه، فلن يزال معك من الله ظهير عليه ما دمت على عفوك وإحسانك.

* **إذا ظلمك شخص فتجاوز عنه:** فإن الله يدافع عنك، فالله سبحانه وتعالى يدافع عن المظلوم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٢).

* **إن الله سبحانه وتعالى قد قال فى كتابه الكريم:** ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ (٣)، هذا فى حق من عاقب بمثل ما عوقب به، لينصرنه الله!! فكيف بالذى ترك حقه كله لله؟!

---

(١) سورة فصلت: الآيتان: (٣٤، ٣٥).

(٢) سورة الحج: الآية: (٣٨).

(٣) سورة الحج: الآية: (٦٠).

* فالزم جانب العفو فإن العفو من شيم المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (٣).

* وقال النبي ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»(٤).

* وقد صَحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ارحموا تُرحموا، واغفروا يُغفر لكم ..»(٥).

* وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى»(٦)(٧).

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع نعمة العفو والصفح.

* **النبي ﷺ يحض الأمة على العفو:**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»(٨).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٣٤).

(٢) سورة التغابن: الآية: (١٤).

(٣) سورة الشورى: الآية: (٤٠).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) قال الشيخ مصطفى العدوى: أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥، ٢١٩) وعبد بن حميد في المنتخب (بتحقيقي ٣٢٠)، والبخاري في الأدب المفرد (حديث ٣٨٠) والحديث صحيح لشواهده.

(٦) صحيح: رواه أحمد (٦٠٧٩) من طريقين عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا، وابن ماجه (٤١٨٩) كتاب الزهد، وهو صحيح بمجموع طريقيه، والله أعلم.

(٧) فقه الأخلاق/ الشيخ مصطفى العدوى (ص: ٨١، ٨٢).

(٨) متفق عليه: رواه البخاري (٦١١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٩) كتاب البر والصلة والآداب.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال[١]، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً[٢]، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله[٣]»[٤].

* وقال ﷺ: «من كتم غيظاً، وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق، حتى يخيره من الحور العين، يزوجه منها ما شاء»[٥].

* وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيُغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا»[٦].

هذا هو النبي ﷺ

* عن أبي إسحاق قال: سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول: سألت عائشة عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخَّابًا

---

(١) «ما نقصت صدقة من مال»: ذكروا فيه وجهين: أحدهما معناه: أنه يبارك فيه ويدفع عنه المضرات، فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية. وهذا مدرك بالحس والعادة. والثاني أنه: وإن نقصت صورته، كان في الثواب المرتب عليه جبر لنقصه وزيادة إلى أضعاف كثيرة.

(٢) «وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً»: فيه أيضًا وجهان: أحدهما على ظاهره، ومن عُرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب، وزاد عزه وإكرامه، والثاني: أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك.

(٣) «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»: فيه أيضًا وجهان: أحدهما: يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه. والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة رفعه فيها بتواضعه في الدنيا. قال العلماء: وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة. وقد يكون المراد الوجهين معًا في جميعها في الدنيا والآخرة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) حسن: رواه أبو داود (٤٧٧٧) كتاب الأدب، والترمذي (٢٠٢١) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٤١٨٦) كتاب الزهد، وأحمد (١٥١٩٢)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٥١٨).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٥) كتاب البر والصلة والآداب.

فى الأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح[١].

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن هذه الآية التى فى القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٢]، قال فى التوراة: يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً[٣] للأميين، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل، ليس بفظ[٤] ولا غليظ[٥] ولا سخاب بالأسواق[٦]، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينًا عُميًا، وآذانا صُمًّا، وقلوبًا غلفًا»[٧].

صور مشرقة من عفو النبى ﷺ

وهذا نبينا محمد ﷺ نال من العفو الثريا فهذه قريش بالغت فى أذاه ﷺ وأحكمت قبضتها منه ثم أخرجته من بين أهله وعشيرته.... قتلوا من أصحابه فى يوم أحد سبعين وجرحوا آخرين،... جُرح ﷺ وكُسرت رباعيته وشُج وجهه ﷺ وهو يقول: «**اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون**».

ثم أمكنه الله منهم فعاد فاتحًا مكة ومعه أكثر من عشرة آلاف معهم السيوف مُسلطة على رؤوس قريش، وهو يقول لهم: «**ما ترون أنى فاعل**

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٠١٦) كتاب البر والصلة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٥٨٢٠).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٤٥).

(٣) حرزًا: وعاء حصينًا لحفظ الأميين.

(٤) فظ: الفظ هو الجافى السيئ.

(٥) غليظ: شديد صعب.

(٦) سخاب بالأسواق: بمعنى الصياح بصوت عالٍ وهى بالسين والصاد.

(٧) صحيح: رواه البخارى (٢١٢٥) كتاب البيوع.

بكم؟» فقالوا: خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم... فقال ﷺ: «أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: «لا تثريب عليكم اليوم» اذهبوا فأنتم الطلقاء».

والذى يتتبع سيرة النبى ﷺ يرى سجلاً حافلاً من صور العفو.

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادمًا إلا أن يجاهد فى سبيل الله، وما نيل منه شىء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شىء من محارم الله تعالى، فينتقم لله - عز وجل -[(١)].

* ونحن نعلم - يا حبايبى - أن النبى ﷺ عفا عن وحشىٍّ الذى قتل عمه حمزة بن عبد المطلب فى غزوة أُحد.

* وعفا عن رأس المنافقين عبد الله بن أُبى بن سلول الذى كان يكره النبى ﷺ ويحاربه ويدبر له المؤامرات الحقيرة لإيذائه وكان منها أنه اتهم زوجة النبى ﷺ أم المؤمنين عائشة بأنها فعلت الفاحشة ومع كل هذا عفا عنه النبى ﷺ وصلى عليه بعد موته.

* بل عفا النبى ﷺ عن حاطب بن أبى بلتعة لما أراد أن يُفشى سرَّ فتح مكة للمشركين.. فعفا عنه النبى ﷺ لأنه شَهِد غزوة بدر ولذلك لما قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق. قال: «إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[(٢)].

* وعفا النبى ﷺ عن عكرمة بن أبى جهل الذى ظل يحاربه أكثر من عشرين سنة... وكان النبى ﷺ قد أباح دمه فى يوم فتح مكة... ومع ذلك لما طلبت أم حكيم زوجة عكرمة من رسول الله ﷺ أن يعفو عن عكرمة عفا عنه النبى ﷺ وجاء عكرمة وأسلم بين يدى الرسول ﷺ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٢٨) كتاب الفضائل.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٠٧) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٩٤) كتاب فضائل الصحابة.

وكان من خيرة الناس بعد ذلك حتى مات شهيداً فى معركة اليرموك.

* بل عفا النبى ﷺ عن رجل يهودى آذى النبى ﷺ وعمل له سحراً.. ومع ذلك عفا عنه النبى ﷺ.

* وعفا النبى ﷺ عن المرأة اليهودية التى دعته إلى الطعام بعد غزوة خيبر ووضعت له السم فى الشاة التى أكل منها... ومع ذلك عفا عنها النبى ﷺ.

* وعفا النبى ﷺ عن الرجل الأعرابى الذى بال فى المسجد فلما أراد الصحابة أن يضربوه نهاهم عن ذلك وقال: «**دعوه وهريقوا على بوله سَجلاً من ماء أو ذَنوبًا من ماء فإنما بُعثتم مُيسرين ولم تُبعثوا معسرين**»(١).

* ولو استطردنا فى الأمثلة لوجدنا الكثير والكثير من عفو النبى ﷺ عن كل من أساء إليه حتى نتعلم منه العفو والصفح فهو أسوتنا وقدوتنا ﷺ.

حكاية صياد السمك

يُروى أن صياداً يصطاد السمك، ويُطعم منه أطفاله وزوجته، خرج يومًا للصيد، فوقع فى شبكته سمكة كبيرة ففرح بها، ثم أخذها ومضى إلى السوق ليبيعها، ويصرف ثمنها فى مصالح عياله.

فلقيه بعض الظلمة من أعوان السلطان، فرأى السمكة معه، فأراد أخذها منه، فمنعه الصياد، فرفع الظالم خشبة كانت بيده، فضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة، وأخذ السمكة منه غصبًا بلا ثمن.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٠) كتاب الوضوء.

فدعا الصياد عليه فقال: إلهى! جعلتنى ضعيفًا، وجعلته قويًّا عنيفًا، فخذ لى بحقى منه عاجلاً، فقد ظلمنى ولا صبر لى إلى الآخرة.

ثم إن ذلك الغاصب الظالم انطلق بالسمكة إلى منزله، وسلَّمها إلى زوجته، وأمرها أن تشويها، فلما أخذتها أفلتت السمكة من يديها، وفتحت فمها وضربته فى أصبع يده ضربة طار بها عقله. فقام وشكا إلى الطبيب ألمًا فى يده، فلما رآها قال له: إن دواءها أن تُقطع الإصبع، لئلا يسرى الألم إلى بقية الكفّ.

فقطع إصبعه، فانتقل الألم والوجع إلى الكف واليد، وازداد تألمًا، وارتعدت من الخوف فرائصه، فقال له الطبيب: ينبغى أن تُقطع اليد إلى المعصم لئلا يسرى الألم إلى الساعد فقطعها، فانتقل الألم إلى الساعد.

فمازال هكذا كلما قطع عضوًا انتقل الألم إلى العضو الذى يليه.

حتى خرج هائمًا على وجهه، مستغيثًا إلى ربه ليكشف عنه ما نزل به.

فرأى شجرة فقصدها، فأخذه النوم عندها فنام، فرأى فى منامه قائلاً يقول: يا مسكين! إلى كم تُقطع أعضاؤك؟ امضِ إلى خصمك الذى ظلمته فاطلب منه أن يسامحك، فانتبه من النوم، وفكَّر فى أمره، فعلم أن الذى أصابه من جهة الصياد، فدخل المدينة، وسأل عن الصياد، وأتى إليه، ووقع بين يديه يتمرّغ على رجليه، وطلب منه أن يسامحه ودفع إليه شيئًا من ماله، وتاب من فعله، فرضى عنه الصياد وعفا عنه، فسكن فى الحال ألمه، وانتهت فى التو محنته.

* * *

خيرهما الذى يبدأ بالسلام

اعتاد صلاح وعلى دائمًا أن يقضيا بقية اليوم بعد المدرسة فى منزل أحدهما فيقوما بالانتهاء من واجباتهما المدرسية، ثم قضاء باقى الوقت فى اللعب سويًا، ولا يفترقان إلا عند وقت النوم فقط، فينام كل واحد فى منزله، ثم يتقابلان فى الصباح أمام باب المنزل ليذهبا سويًا إلى المدرسة، حيث إنهما كانا جارين..

كانت الصداقة بين على وصلاح قوية، وكان كل واحد منهما يحب الآخر جدًا ولا يتخيل أن يمر يوم دون أن يقضيه مع صديقه. وعندما أتم صلاح حفظ جزء من أجزاء القرآن الكريم، أقامت والدته حفلة صغيرة ودعت فيها عليًا وبقية أصحاب صلاح وكانت حفلة جميلة استمتع فيها صلاح وعلى مع أصدقائهما باللعب وبتورتة الاحتفال.

وبعد انتهاء الحفلة جلس علىٌ مع صلاح وهو يفتح الهدايا التى قدمها له الأصدقاء، وقد كانت هدايا جميلة بالفعل، ولكن أكثر ما لفت نظر الاثنين هو قطارٌ كهربائىٌ كبيرٌ يمشى على قضبان ويقف فى محطات صغيرة..

تحمس الاثنان للعب بذلك القطار، ولكن فى هذه اللحظة دخلت والدة صلاح وأخبرت عليًا بأن والدته اتصلت لاستدعائه للعودة إلى المنزل؛ لأن ميعاد النوم قد حان..

ودَّع علىٌ صلاحًا ووالدته بعد أن وعده صلاح بأن يعود للعب بالقطار فى اليوم التالى بعد المدرسة..

مر اليوم التالى فى المدرسة بطيئًا أو هكذا ظن كل من صلاح وعلى، فقد كان الاثنان يحلمان بالعودة إلى منزل صلاح واللعب بالقطار.

وفور عودتهما إلى المنزل دخلا حجرة صلاح وبحثا بين الهدايا عن

القطار، ووجده علىٌّ فى وسط الهدايا..

قال صلاح: أخرجه يا على لنلعب به.

أخرج علىٌّ العلبة التى تحتوى على القطار وبدأ فى إخراجه منها، ولكن بينما هو يحاول إخراجه سقط منه على الأرض.

نظر الاثنان فوجدا القطار وقد تحطم نتيجة لسقوطه على الأرض.. شعر علىٌّ بالإحراج الشديد، وأراد أن يعتذر إلى صلاح عن هذه الغلطة غير المقصودة ولكن صلاحًا لم يعطه أى فرصة، وقال له وهو فى غاية الغضب:

هذا قطارى الذى كنت أريد اللعب به، والآن أنت حطمته، أنا لا أريد اللعب معك مرة أخرى.

فوجئ علىٌّ بكلام صلاح، وحزن جدًّا، فكيف يرفض اللعب معه وهما الصديقان اللذان لا يفترقان أبدًا؟! ثم إنه فعلاً لم يقصد أن يوقع القطار.

شعر علىٌّ بالغضب الشديد من صلاح على كلامه فخرج عائدًا إلى منزله وقرر ألا يكلم صلاحًا مرة أخرى..

ومرت الأيام التالية على غير العادة، فكان كل منهما يذهب إلى المدرسة بمفرده ويتقابلان فى المدرسة فلا يسلمان على بعضهما ولا يتحدثان، وعند العودة من المدرسة كان كل منهما يعود إلى منزله..

مرت الأسابيع، وفى يوم دخل أحد المدرسين فصل صلاح وعلىٌّ، وأعلن عن إقامة إحدى المسابقات بالمدرسة، وكان من شروط المسابقة أن يشترك كل تلميذين فى الدخول للمسابقة.. فكر صلاح فيمن يمكن أن يشترك معه فى المسابقة، ففوجئ بأنه على الرغم من كل شىء فإنه ليس لديه أعز من علىٌّ ليشترك معه ويمكن أن يعتمد عليه..

ولكنه وجد مشكلة.. كيف يمكن أن يطلب من علىٌّ أن يشاركه فى

المسابقة وهما متخاصمان . . كيف سيسامحه عليٌّ على الكلام الذى قاله فى حقه؟؟

هل كان القطار فعلاً يستحق أن يخسر بسببه صديق عمره؟

وجد نفسه يجيب بقوة: لا وألف لا . . عليٌّ عندى بالدنيا، ولكنه عاد لنفس السؤال كيف يمكن لهما أن يتصالحا؟

مر يومان وصلاح يفكر فى الأمر، وعندما همَّ بالذهاب إلى محادثة عليّ فوجئ بعليٍّ مُقبلاً عليه وعلى وجهه ابتسامة افتقدها منذ أن تخاصما.

ابتسم صلاح بدوره وأسرع بمد يده ليصافح عليًّا، فما كان من عليٍّ إلا أن مد يده وصافحه، ثم احتضنه . .

قال صلاح: كنت خائفًا ألا تسامحنى وترددت فى أن أكلمك . . لم أكن أتوقع أن تقبل عليَّ بهذه الرحابة وسعة الصدر.

ردَّ عليٌّ: أنت صديقى وأخى فكيف نبتعد عن بعضنا البعض . . لقد شعرت فى الأيام السابقة بمرارة شديدة ونحن مفترقان . . ثم تذكرت قول رسول الله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام يلتقيان، يُعرض هذا ويُعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام**».

فقلت: كيف كنا نتقابل فلا نسلم حتى على بعضنا البعض؟! لقد ندمت أشد الندم وقررت أنه يجب علينا أن نتصالح فوراً . . وجئت فوجدتك تبادلنى الشعور نفسه . . وها نحن قد تصالحنا ولله الحمد.

قال صلاح: ولن نتخاصم أبدًا بعد ذلك بإذن الله.

قال عليٌّ: نعم لا يمكن أن نفترق عن بعض مرة أخرى . . والآن لنستعد للمسابقة سويًّا[1].

* * *

(١) علمنا رسول الله / ريهام محمد فريد (ص: ٣٤-٤١).

هيا نفتح صفحة العفو من جديد

هيا يا حبايبى لنبدأ مرة أخرى ونفتح صفحة العفو من جديد فنعفو عن كل من ظلمنا أو أساء إلينا لنفوز بعفو الله ورحمته ومغفرته... فإنه من عفا عن الناس عفا الله عنه... ومن غفر للناس غفر الله له... ومن رحم الناس رحمه الله فى الدنيا والآخرة.

* ولذلك كان دعاء ليلة القدر: «**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عنى**»(١) لأن العفو أعظم وأبلغ من المغفرة فإن الله إذا غفر لعبد ولم يعفُ عنه فإنه يحاسبه يوم القيامة على ذنوبه ولكن لا يعذبه عليها أما إن عفا الله عن العبد فإنه يمحو ذنوبه من الصحيفة فلا يحاسبه ولا يعاقبه.

فمن أراد أن يفوز بعفو الله فعليه أن يعفو عن كل من ظلمه أو أساء إليه.

من فوائد العفو والغفران

(١) العفو والغفران من مظاهر حسن الخلق.

(٢) كلاهما دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.

(٣) كلاهما دليل على سعة الصدر وحسن الظن.

(٤) كلاهما يثمر محبة الله ـ عز وجل ـ ثم محبة الناس.

(٥) العفو أمان من الفتن وعاصم من الزلل.

(٦) الغفران دليل على كمال النفس وشرفها.

(٧) كل من العفو والغفران يهيئ المجتمع والنشء الصالح لحياة أفضل.

(٨) كلاهما طريق نور وهداية لغير المسلمين(٢).

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٨٥٠) كتاب الدعاء، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٤٢٣).

(٢) نضرة النعيم (٧/ ٢٩١٠).

من فوائد الصفح

(١) الصفح أعمق من العفو. . إذ يزيل الله به أثر الضغائن.

(٢) أمر الله المؤمنين بالصفح حتى عن ألد الأعداء كى يذوقوا حلاوة الإيمان، فيدخلوا فيه.

(٣) الصفح من مستلزمات الإحسان، والإحسان أعلى درجات الإيمان.

(٤) الصفح يقوى رابطة التآخى بين أفراد المجتمع ويجعلهم متحابين متحدين.

(٥) الأمة التى يتحلى معظم أفرادها بالصفح، تكون أمة سعيدة فى الدنيا والآخرة. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[١].

* * *

(١) نضرة النعيم (٦/ ٢٥٣٥).

الرحمة

الرحمة

حبايبى الحلوين: وها هو خُلق عظيم من أعظم أخلاق الرسول ﷺ يجب أن نتحلى به... ألا وهو خُلق الرحمة.

وما أجمل أن نحمل الرحمة فى قلوبنا لكل الناس من حولنا فإن الله (جلَّ وعلا) لا يرحم إلا أهل الرحمةِ الذين يرحمون كل من حولهم.

نعمة الرحمة

* عندما ترى امرأة عجوزًا تحمل حملاً ثقيلاً، وهى تُعانى بما تحمله، وتكاد تقع مع كل خطوة تخطوها فتشعر نحوها بالشفقة والعطف... وعندما تجد قطة صغيرة لا ترى أمامها، وهى ترتعش من شدة البرد، ولا تعرف كيف تُطعم نفسها فتتألم لها أشد الألم... وعندما يقع بصرك على طفلٍ تاه عن أهله، وهو يبكى بحرقة وألم فترقَّ لبكائه وتتألم لألمه، إن كل ما شعرت به من شفقة وعطف ورقَّة وألم نحو هؤلاء هو الشعور بالرحمة.

* والرحمة صفةٌ من صفات الله - عزَّ وجلَّ - فهو سبحانه الذى خلقنا، وهو الذى يطعمنا ويسقينا، وإذا مرضنا فهو يشفينا، وهو الذى يهدينا إلى الإيمان به.

ورحمة الله واسعةٌ، ومظاهرها كثيرةٌ لا يمكن عدُّها ولا حصرُها؛ فهى تشمل كل شىء، وتصل إلى كل مخلوق، وكلنا فى حاجة إليها، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1].

وهو سبحانه الذى خلق الرحمة فى قلوب عباده، لذلك يتراحم الناس فيما بينهم.

---

(١) الأعراف: الآية: (١٥٦).

يقول النبى ﷺ: «جعل الله الرحمة فى مائة جزء، فأمسك عنده تسعةً وتسعين جزءاً، وأنزل فى الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه»[١][٢].

أين الرحمة؟

إننا فى الحقيقة نعيش زماناً نفتقد فيه لهذا الخُلق الجليل فلقد أصبح الحديث عن الرحمة كأنه دربٌ من الخيال أو أسطورة من أساطير ألف ليلة وليلة. وذلك لأن الرحمة غابت بين أكثر الناس حتى لا نكاد نراها بين أكثر المسلمين - إلا من رحم الله -.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إننا على قدر الرحمة التى تكون فى قلوبنا لمن حولنا سنجد الرحمة من أرحم الراحمين - جل وعلا-.

* وقد أمرنا الله أن نتأسى وأن نقتدى بالأنبياء والمرسلين فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[٣].

وقد وصف الله رسوله ﷺ وأصحابه بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٤] وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٥].

* بل وأخبر النبى ﷺ أن الرحمة إذا كانت بين المؤمنين فإنها تجعلهم كالجسد الواحد فقال ﷺ: «ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٠٠) كتاب الأدب، ومسلم (٢٧٥٢) كتاب التوبة.

(٢) الرحمة/ أ. سلامة محمد سلامة (ص: ٣).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (٩٠).

(٤) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

(٥) سورة آل عمران: الآية: (١٥٩).

كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»[١].

* وأخبر النبى ﷺ أن الرحمة من صفات أهل الجنة.. فقد قال ﷺ: «...وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطانٍ مقسط متصدق موفَّق. ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم. وعفيف متعفف ذو عيال...»[٢].

* وقد أخبر النبى ﷺ أنه لن يدخل أحدٌ جنة الرحمن إلا برحمته - جل وعلا- فقال ﷺ: «لن يُدخل أحدًا عملُه الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضل رحمته»[٣].

* والله - عز وجل- لا يرحم إلا أهل الرحمة كما أخبر بذلك النبى ﷺ حيث قال: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»[٤].

* ومن ثم فإن الرحمة هى أقرب طريق يوصلنا إلى جنة الرحمن - جل وعلا-... ولذا تأمل معى هذا المشهد الجليل: فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاءتنى مسكينة، تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقَّت التمرة التى كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبنى شأنها، فذكرت الذى صنعت لرسول الله ﷺ فقال: «إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار»[٥].

* فتعالوا بنا لنتعايش مع خُلق من أخلاق الرسول ﷺ.. ألا وهو خلق الرحمة عسى أن يرزقنا الله رحمة فى قلوبنا تجعلنا أهلاً للفوز

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١١) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٧٣) كتاب المرضى، ومسلم (٢٨١٦) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٧٣٧٦) كتاب التوحيد.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٣٠) كتاب البر والصلة والآداب.

برحمته -جل وعلا- وللفوز بصحبة نبيه ﷺ في الجنة... إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الراحمون يرحمهم الرحمن - جل وعلا -

إن قلب المؤمن يفيض بالرحمة على كل من حوله.. فهو يعلم يقينًا أنه على قدر الرحمة التي تكون في قلبه للناس من حوله فإنه سيجد في مقابلها رحمة أعظم منها تنتظره في الدنيا والآخرة من الرحمن الرحيم - جل وعلا-... فهو يرحم كل من رحم عباده ولذا قال ﷺ: «**إنما يرحم الله من عباده الرُّحماء**»(١).

وقال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى: ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»(٢).

وقال ﷺ: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»(٣).

* فالرحمة دليل على سعة الصدر، ورقة القلب، وسمو النفس، والرجل الذي تسمو نفسه إلى معالي الأخلاق يعرف الحق، ويرحم الناس، بل يرحم الخلق كافة.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن تؤمنوا حتى ترحموا**».

قالوا: كلنا رحيم يا رسول الله.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٢٨٤) كتاب الجنائز، و(٥٦٥٥) كتاب المرضى، ومسلم (٩٢٣) كتاب الجنائز.

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود (٤٩٤١) كتاب الأدب، والترمذي (١٩٢٤) كتاب البر والصلة، وصححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٩٢٥).

(٣) **صحيح:** رواه البخاري (٧٣٧٦) كتاب التوحيد.

قال: «إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة الناس رحمة العامة»(١).

رحمة الله واسعة

كان يا ما كان... كان هناك رجل غنى لكنه كان بعيداً عن طاعة الله. فقد كان يشرب الخمر بل ويجمع أصحابه فى البيت على شرب الخمر.

وفى يوم من الأيام جمع أصحابه على شرب الخمر وأراد أن يشترى لأصحابه فاكهة فأرسل خادمه ليشترى فاكهة ودفع إليه أربعة دراهم.

وفى أثناء سير الخادم مر بالرجل الزاهد منصور ابن عمار وهو يقول: من يدفع أربعة دراهم لفقير غريب دعوت له أربع دعوات،... فأعطاه الغلام الدراهم الأربعة.

فقال له منصور بن عمار: ما تريد أن أدعو لك؟

فقال الغلام: لى سيد قاسٍ أريد أن أتخلص منه، والثانية: أن يخلف الله علىَّ الدراهم الأربعة، والثالثة: أن يتوب الله على سيدى، والرابعة: أن يغفر الله لى ولسيدى ولك وللقوم، فدعا له منصور بن عمار، وانصرف الغلام ورجع إلى سيده الذى نهره وقال له: لماذا تأخرت وأين الفاكهة؟ فقصَّ عليه مقابلته لمنصور الزاهد وكيف أعطاه الدراهم الأربعة مقابل أربع دعوات، فسكن غضب سيده وقال: وما كانت دعوتك الأولى؟

قال: سألت لنفسى العتق من العبودية.

---

(١) قال الحافظ فى «الفتح» (١٠/ ٤٥٣): أخرجه الطبرانى، ورجاله ثقات. وقال الألبانى فى «الصحيحة» (١/ ٢٧٠): هو فى كتاب «الأدب» للبيهقى حديث (١٦٧).

فقال السيد: قد أعتقتك فأنت حرٌّ لوجه الله تعالى، وما كانت دعوتك الثانية؟

قال: أن يُخلف الله علىَّ الدراهم الأربعة.

قال السيد: لك أربعة آلاف درهم.

قال: وما كانت دعوتك الثالثة؟

قال: أن يتوب الله عليك.

فطأطأ السيد رأسه وبكى وأزاح بيديه كؤوس الخمر وكسرها وقال: تبت إلى الله لن أعود أبدًا.

وقال: فما كانت دعوتك الرابعة.

قال: أن يغفر الله لىَّ ولك وللقوم.

قال السيد: هذا ليس إلىَّ وإنما هو للغفور الرحيم.

فلما نام السيد تلك الليلة، سمع هاتفًا يهتف به: أنت فعلت ما كان إليك، أتظن أنا لا نفعل ما كان إلينا؟ لقد غفر الله لك وللغلام ولمنصور بن عمار ولكل الحاضرين.

الرحمة فى حياة النبى ﷺ

ولقد كان النبى ﷺ أرحم الناس أجمعين.. وشهد له بذلك الكافر قبل المسلم فإنه لما أراد الله تعالى أن يمتن على العالم برجل يمسح آلامه ويخفف أحزانه، ويجدد آماله، ويرثى لخطاياه، ويستميت فى هدايته، أرسل محمدًا ﷺ وسكب فى قلبه من العلم والحلم، وفى خُلُقه من الإيناس والبر، وفى طبعه من السهولة والرقة، وفى يده من السخاوة والندى، ما جعله أزكى عباد الله، وأوسعهم عاطفة، وأرحبهم صدرًا.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

صور من رحمته ﷺ

وها هى صور يسيرة من رحمته ﷺ . . وإن كان الحديث عن رحمة النبى ﷺ لا ينتهى أبدًا بل لا أكون مبالغًا لو قلت: إن الأعمار قد تفنى ونحن لا نستطيع أن نصف مدى رحمة النبى ﷺ بمن حوله فلقد سكبت الرأفة والرحمة فى قلبه منذ نعومة أظفاره ﷺ .

* لقد كان النبى ﷺ يتمنى إيصال الخير لأمته لفرط محبته لتلك الأمة المباركة.

- فها هو ﷺ يفرح بتلك الآية التى تفتح باب الأمل للمذنبين.

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٣]»[٤].

* وها هو ﷺ يخشى المشقة على أمته فيقول ﷺ: «لولا أن أشق على أمتى لفرضت عليهم السواك مع الوضوء ولأخَّرت العشاء الآخرة إلى نصف الليل»[٥].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٧).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٣) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٤) ضعيف: رواه أحمد (٢١٨٥٧)، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٢١٤)، رواه الطبرانى فى الأوسط وإسناده حسن، وضعفه الألبانى رحمه الله فى السلسلة الضعيفة (٩/ ٤٤٠).

(٥) صحيح: رواه أحمد (٩٧٠)، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٣١٦).

* ويقول ﷺ: «إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد أن أطيلها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي، مما أعلم من شدة وجد أمه ببكائه»(١).

* بل وفي رحلة الإسراء والمعراج عندما فرض الله على الأمة خمسين صلاة ظل النبي ﷺ يسأل ربه جل وعلا التخفيف حتى أصبحت خمس صلوات بأجر خمسين صلاة... رحمة بتلك الأمة.

* بل ها هو ﷺ يختبئ دعوته شفاعة لأمته.

- قال ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن.شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا»(٢).

- وفي الحديث أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: «﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣) وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٤) فرفع يديه وقال: اللهم أمتي، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد -وربك أعلم- فسله: ما يبكيك. فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال -وهو أعلم- فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنُرضيك في أمتك ولا نسوؤك»(٥).

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٠٩) كتاب الأذان، ومسلم (٤٦٩) كتاب الصلاة.
(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٩) كتاب الإيمان.
(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).
(٤) سورة المائدة: الآية: (١١٨).
(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان.

رحمته ﷺ بالأطفال

وتأمل معى أيها الابن الحبيب إلى تلك الصور المشرقة من رحمة النبى ﷺ بالأطفال. . . وسأكتفى بذكر بعض تلك الصور المشرقة:

* عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: قَبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن على وعنده الأقرع بن حابس التميمى جالسًا، فقال الأقرع:

إن لى عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يَرحم لا يُرحم»(١).

* وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأخذنى فيقُعدنى على فخذه ويُقعد الحسن بن على علىٌّ فخذه الآخر، ثم يضمهما، ثم يقول: «اللهم ارحمهما فإنى أرحمهما»(٢).

* وعن أبى قتادة رضي الله عنه قال: (خرج علينا النبى ﷺ وأمامة بنت أبى العاص على عاتقه فصلى، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها)(٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال: ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ(٤).

رحمة النبى ﷺ بالمشركين

بل لقد وصلت رحمة النبى ﷺ مبلغًا لا يخطر على قلب بشر. . فلقد كان ﷺ حزينًا كل الحزن لإعراض المشركين عن نور الهداية حتى

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٧٣٧٦) كتاب التوحيد.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٠٠٦) كتاب الأدب.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٦) كتاب الصلاة، ومسلم (٥٤٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٦)، وأحمد (١١٦٩٢).

قال له جل وعلا: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (١).

رحمته ﷺ بالحيوان

ولم تقف رحمة النبى ﷺ بالإنسان فحسب بل وصلت حتى إلى الدواب.

* فها هو ﷺ يحفز النفوس للإحسان إلى الدواب من خلال ذكر ثواب الإحسان إليهم فيقول ﷺ كما فى الصحيحين- «فى كل ذات كبد حرى أجرٌ».

* وقال ﷺ كما فى الصحيحين: «بينما كلب يطيف بركية (٢) كاد يقتله العطش، إذ رأته بغى من بغايا بنى إسرائيل فنزعت موقها (٣) فسقته فغفر لها به» (٤).

* وفى المقابل يخبر النبى ﷺ بعقوبة من أساء لتلك الدواب فيقول ﷺ: «دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت» (٥).

* وأمرنا النبى ﷺ بالإحسان إلى تلك الدواب حتى عند ذبحها (أى عند ذبح ما أحل الله ذبحه وأكل لحمه)... قال ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شىء. فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُحدَّ أحدكم شفرته، وليُرح ذبيحته» (٦).

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٦).

(٢) يطيف بركيَّة: أى يدور حول بئر.

(٣) موقها: أى خُفها.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٦٧) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٢٤٥) كتاب السلام.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣١٨) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٢٤٢) كتاب السلام.

(٦) صحيح: رواه مسلم (١٩٥٥) كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان.

* وتأمل معى تلك الصورة المشرقة من رحمته ﷺ بالدواب.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر، فانطلق لحاجته فرأينا حمرة[١] معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش[٢] فجاء النبى ﷺ فقال: «**من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها**»... ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: «**من حرق هذه؟**».

قلنا: نحن، قال: «**إنه لا ينبغى أن يعذب بالنار إلا رب النار**»[٣].

* وتعلم أصحاب النبى ﷺ الرحمة على يديه فكانوا قمة فى الرحمة.

- فها هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجلس بجوار بعير مريض فيبكى ويقول: والله إنى لا أدرى ما بك وإنى لأخشى أن يسألنى الله عنك يوم القيامة... بل يقول قولته الشهيرة: لو أن عنزة عثرت فى العراق لخشيت أن يسألنى الله عنها: لِمَ لم تُصلح لها الطريق يا عمر.

قصة الكلب والحمامة

كان ياما كان.. كان فيه زمان رجل صالح اسمه العم سالم، وفى أحد الأيام قرر العم سالم أن يسافر إلى بلدة بعيدة ليتاجر فيها، فحمل حاجته، وبدأ رحلته، وفى الطريق جلس العم سالم أسفل شجرة ليستريح قليلاً، وأثناء ذلك شاهد حمامة تمسك بمنقارها قطعة كبيرة من اللحم لا تقوى على حملها، فتعجب العم سالم من ذلك، وقال فى نفسه: لم أشاهد الحمام يأكل اللحم أبدًا، لا بد أن وراء هذه الحمامة سرًّا كبيرًا، وسوف أتبعها لأعرفه!!

ظلت الحمامة تطير بمشقة وصعوبة، وتستريح بين الحين والآخر، والعم

---

(١) الحمرة: طائر صغير يشبه العصفور.

(٢) تفرش: هو أن تفرش جناحيها وتقرب من الأرض وترفرف.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٢٦٧٥) كتاب الجهاد، وصححه الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٥).

سالم يسير من خلفها، وبعد فترة حطَّت الحمامة فوق ربوةٍ عالية بها كهف صغير فدخلت فيه، فتقدم العم سالم نحو الكهف بحرصٍ وهدوء، فإذا به يرى كلبًا عاجزًا أعمى يتألم من شدة الجوع والتعب، فوضعت الحمامة اللحم أمامه فأخذ يلتهمه، وهو يهز ذيله بفرح وسرور.

تعجب العم سالم مما رأى، وقال: سبحان الله الذى علم هذا الطائر الضعيف أن يرحم عجز حيوان آخر من غير بنى جنسه، وقرر العم سالم أن يحمل الكلب معه ليقوم على معالجته ورعايته.

قصة الراعى مع والديه

فى قديم الزمان كان هناك راعٍ طيب يُسمَّى عمران، وفى يوم من الأيام خرج عمران بأغنامه إلى المراعى البعيدة، وفجأة وقبل الغروب هبَّت عاصفة شديدة، فأصاب عمران الخوف والهلع، وأخذ يدفع أغنامه أمامه بسرعة لعله يجد مكانًا مناسبًا يختبئ فيه، وبعد جهدٍ ومشقةٍ، وجد عمران كهفًا كبيرًا فدفع الأغنام إليه.

وكانت الأمطار تهطل بغزارة كأنها السيل، فوقعت صخرة كبيرة على باب الكهف فسدَّته، فأصبح الكهف مظلمًا كالليل، وأخذت الأغنام تجرى فى فزعٍ هنا وهناك.

حاول عمران أن يزيح الصخرة لكنها كانت ثقيلة، فجلس يستريح مهمومًا حزينًا ثم قال فى نفسه: والله لن ينجينى من هذه الصخرة إلا أن أدعو الله بعملٍ طيب فعلته.

فقال: يا رب كان لى أبوان كبيران، وكنت أحبهما، وأطيعهما وأعطف عليهما، وأحرص دائمًا على راحتهما، وكنت لا آكل ولا أشرب ولا أنام قبلهما أبدًا، وفى يوم من الأيام تأخرت عليهما فى عملى، فنامًا قبل أن

يأكلا، فخفت أن أوقظهما حتى لا يتضايقا، وقررت أن أنتظر بجوار فراشهما ومعى الطعام حتى يستيقظا، وكان أولادى الصغار يبكون من شدة الجوع عند قدمى، فلما استيقظا أطعمتهما بيدى، ثم أكلت بعد ذلك أنا وأولادى.

فاللهم إن كنت فعلت هذا طاعة لك فأزِل هذه الصخرة، فاستجاب الله دعاءه وابتعدت الصخرة، وخرج الراعى الطيب عمران من الكهف سالمًا هو وأغنامه وعاد إلى بيته فى فرح وسرورٍ [1].

كيف نفوز برحمة الله

وأخيرًا: فلابد أن نعلم أننا إذا أردنا أن نتحلى بخلق الرحمة فعلينا أن نتأسى بالنبى ﷺ الذى مُزجت حياته كلها بالرحمة.

وإذا أردنا أن نفوز برحمة الله -جل وعلا- فعلينا أن نرحم كل من حولنا... فيرحم كل واحدٍ منا والديه وزوجته وأولاده وإخوانه وجيرانه والخدم الذين يعملون عنده ويتامى المسلمين والمرضى وذوى العاهات بل ونرحم حتى الدواب لنفوز برحمة الله «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**».

* واعلم أن الرحمة تجعلك تفوز بمحبة الله ومحبة الناس... وأنك بتلك الرحمة يوفقك الله لترك المعاصى ونيل الدرجات فهى دليل عملى على رقة القلب وسمو النفس... وهى سبب إشاعة الرحمة بين أفراد المجتمع فهى تجمع شمله وترفع من مستواه... واعلم أيضًا أن الجنة هى دار الرحمة ولا يدخلها إلا الراحمون.

وعلى قدر الرحمة التى فى قلبك سترتقى فى درجات الجنة.

* فأسأل الله جل وعلا أن يُسكن الرحمة فى قلوبنا حتى نرحم كل من حولنا لنكون أهلاً للفوز برحمته جل وعلا فى الدنيا والآخرة.

---

(١) الرحمة (ص: ١١، ١٤، ١٥).

العدل

العدل

حبـايبى الحلوين: وها هو خُلق عظيم من أعظم أخـلاق الرسول ﷺ ينبغى أن نتحلى به.. ألا وهو خُلق العدل.

* وما أجمل أن يتحلى المسلم بخُلق العـدل ويبتعد عن الظلم فإن الظلم ظلمات فى الدنيا والآخرة.

فالمسلم العادل يكون يوم القيامة فى ظل عرش الرحمن.

أما المسلم الظالم فإن حسناته تتوزع يوم القيامة على كل من ظلمهم فإن فنيت حـسناته قبل أن يقـضى ما عليـه من المظالم أُخذ مـن سيئـات الذين ظلمهم فتُطرح عليه ثم يُطرح فى النار.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع خُلق العدل.

العدل فى حياة المصطفى ﷺ

وإذا أردنا أن نتكلم عن العدل فـلا نستطيع أبدًا أن ننسى أستاذ الـبشرية كلهـا الذى ربَّـاه الحق - جل وعـلا- وصنعـه على عـينـه ليـربى به الأمم والأجيال - بـأبى هو وأمى ﷺ - وسأكتفى بذكـر بعض المواقف من عدل النبى ﷺ وذلك؛ لأن الحديث عن عدل النبى ﷺ يحتاج إلى مجلدات ومع ذلك فلن نستطيع أن نوفيه حقه ﷺ.

* قال ﷺ: «إن المقـسطين عند الله على منابر من نورٍ، الذين يعـدلون فى حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا»[1].

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٢٧) كتاب الإمارة.

* وها هى صورة عالية من عدل النبى ﷺ :

فعن عائشة رضي الله عنها أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة ابن زيد حِب رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ : «أتشفع فى حد من حدود الله تعالى؟» ثم قام فاختطب ثم قال: «**إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»(١) .

* إن الإمام العادل يضع نُصب عينيه قول رسول الله ﷺ وهو القدوة والأسوة: «**إنى لأرجو أن أفارقكم ولا يطلبنى أحد منكم بمظلمة ظلمته**»(٢) .

وهذه صورة لعدل النبى ﷺ بين أصحابه

* لقد كان النبى ﷺ يحذر أصحابه من أن يأتى واحد منهم إلى النبى ﷺ فيتكلم كلامًا جميلاً ليأخذ حق أخيه.

* (عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «**إنكم تختصمون إلىَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحَن بحجته من بعض فأقضى له على نحو مما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعة من النار**»)(٣) .

* وكان النبى ﷺ لا يشهد على أى شىء فيه ظلم أبدًا.

* (عن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنه وهو على المنبر يقول: أعطانى أبى عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى يشهد رسول

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٧٥) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٦٨٨) كتاب الحدود.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٢٢٠١) كتاب التجارات، وأحمد (١١٤٠٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٤٨٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٨٠) كتاب الشهادات، ومسلم (١٧١٣) كتاب الأقضية.

الله ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله. قال: «**أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟**». قال: لا، قال: «**فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**» قال: فرجع فرد عطيته)[١].

* وكان يوصي أصحابه دائمًا أن يتقوا الله في إخوانهم ولا يظلم بعضهم بعضًا.

* **عن أبي ذر قال:** كان بيني وبين رجل كلام وكانت أمه أعجمية فنلت منها، فذكرني إلى النبي ﷺ فقال لي: «**أسابيت فلانًا؟**» قلت: نعم. قال: «**أفنلت من أمه؟**» قلت: نعم. قال: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**». قلت: على حين ساعتي هذه من كبر السن؟ قال: «**نعم، هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جعل الله أخاه تحت يده فليُطعمه مما يأكل وليُلبسه. مما يلبس، ولا يكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليُعنه عليه**»[٢].

* بل ها هو ﷺ يقدم نفسه للقصاص.. وهو مَن هو؟

هو رسول الله ﷺ وخير خلق الله أجمعين.

فبينما كان رسول الله ﷺ يعدل صفوف جيشه، مر بسواد بن غزية، وهو خارج عن الصف فطعن في بطنه بعود كان في يده قائلاً: «**استو يا سواد**»، وهنا قال سواد: أوجعتني يا رسول الله، وقد بعثك الله بالحق والعدل، ثم طلب من الرسول ﷺ أن يعطي القصاص من نفسه قائلاً: أقدني، فلم يتردد ﷺ، وكشف عن بطنه ﷺ ليقتضي منه سواد قائلاً له: «**استقد**».

ولكن سوادًا بدلاً من أن يطعن في بطن الرسول قصاصًا، أخذ يقبلها،

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٥٨٧) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٠٥٠) كتاب الأدب.

فقال له الرسول ﷺ: «ما حملك على هذا يا سواد؟».

قال: يا رسول الله حضر ما ترى ـ يعنى القتال ـ فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك، فدعا له الرسول ﷺ بخير.

وهذه صورة مشرقة لعدله بين أزواجه

* عن عائشة رضي الله عنها قالت لعروة بن الزبير: يا ابن أختى كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض فى القسم، من مكثه عندنا، وكان قلَّ يوم إلا وهو يطوف علينا جميعًا، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التى هو يومها فيبيت عندها...»[(١)].

* وكان النبى ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت ـ التى النبى ﷺ فى بيتها ـ يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبى ﷺ فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذى كان فى الصحفة ويقول: «غارت أمكم»، ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التى هو فى بيتها فدفع الصحفة الصحيحة إلى التى كُسرت صحفتها وأمسك المكسورة فى بيت التى كسرت[(٢)].

بل هذا عدله ﷺ مع المشركين

فقبل وفاة النبى ﷺ بعامين أرسل أسامة بن زيد رضي الله عنهما على سرية خرجت للقاء بعض المشركين الذين يناوئون الإسلام والمسلمين وكانت تلك أول إمارة يتولاها أسامة.

قال أسامة رضي الله عنه: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة قال:

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٢١٣٥) كتاب النكاح، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٧٩).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٢٢٥) كتاب النكاح.

فصبحنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم. قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنصارى فطعنته برمحى حتى قتلته. قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبى ﷺ قال: فقال لى: «**يا أسامة، أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟**» قال: قلت: يا رسول الله إنه إنما كان متعوذاً، قال: «**قتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟**» قال: فما زال يكررها علىَّ حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[(١)].

وإذا بهذا الدرس العظيم ينتفع به أسامة رضي الله عنه.

فإنه لما حدثت الفتنة بين (على) و(معاوية) رضي الله عنهما اعتزل أسامة تلك الفتنة وقال: «**لا أقاتل أحداً يقول: لا إله إلا الله**».

وعن أبى مسعود الأنصارى قال: كنت أضرب مملوكًا لى فسمعت قائلاً من خلفى يقول: «**اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود**» فالتفتُّ فإذا أنا برسول الله ﷺ فقال: «**لله أقدر عليك منك عليه**» قال أبو مسعود: فما ضربت مملوكًا بعد ذلك[(٢)].

* وها هو ﷺ يحرص على هداية هذا الغلام اليهودى فى أثناء مرضه.

فقد روى الإمام البخارى، عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودى يخدم النبى ﷺ فمرض، فأتاه النبى ﷺ، يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «**أسلِم**». فنظر إلى أبيه، وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبى ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذى أنقذه من النار**»[(٣)].

* * *

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٤٢٦٩) كتاب المغازى، ومسلم (٩٦) كتاب الإيمان.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٥٩) كتاب الإيمان.

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (١٣٥٦) كتاب الجنائز.

النبى ﷺ يدعو الكون كله للعدل

لقد كان النبى ﷺ يدعو الكون كله للتحلى بخلق العدل لتسود المحبة بين الناس أجمعين.

فها هو ﷺ يقول: «إذا حكمتم فاعدلوا وإذا قتلتم فأحسنوا فإن الله - عز وجل - محسنٌ يحب المحسنين»(١).

ويخبر النبى ﷺ أن العدل صدقة تُكتب فى ميزان العبد.

قال ﷺ: «كل سُلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس: يعدل بين الناس صدقة..»(٢).

وأخبر النبى ﷺ أن الإمام العادل لا تُرد دعوته فقال ﷺ: «ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الإمام العادل...»(٣).

بل وأخبر النبى ﷺ أن العدل من أعظم أسباب النجاة فقال ﷺ: «ثلاثٌ كفارات، وثلاثٌ درجات، وثلاثٌ منجيات، وثلاثٌ مهلكات... وأما المنجيات: فالعدل فى الغضب والرضا...»(٤).

* وأخبر النبى ﷺ أن أهل العدل يكونون يوم القيامة فى ظل عرش الرحمن فقال ﷺ: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل...»(٥).

* بل وأخبر أن أهل العدل يكونون يوم القيامة على منابر من نور فقال

---

(١) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (٦/ ٤٠)، وقال الهيثمى فى المجمع (٥/ ٣٥٦)، رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله ثقات، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٩٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧ - ٢٧) كتاب الصلح، ومسلم (٩ - ١٠) كتاب الزكاة.

(٣) ضعيف: رواه أحمد (٧٩٨٣)، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الضعيفة (١٣٥٨).

(٤) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (٦/ ٤٧)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٤٥).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

ﷺ : «إن المقسطين عند الله على منابر من نور: الذين يعدلون فى حكمهم وأهلهم وما ولوا»(١).

* بل وأخبر أنهم من أهل الجنة فقال ﷺ : «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال»(٢).

ولقد أمر رسول الله ﷺ بالعدل مع عامة الناس وخاصتهم حتى الوالد مع ولده فقال: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم فى العطاء»(٣).

وأمر الزوج بالعدل بين الزوجات.

صور مشرقة من عدل الصحابة رضي الله عنهم

ولقد سار أصحاب الرسول ﷺ على نفس الطريق الذى سار عليه النبى ﷺ فكانوا مضرب الأمثال فى العدل (رضى الله عنهم وأرضاهم).

صِدّيق الأمة الأكبر رضي الله عنه

وها هى صورة مشرقة لعدل أبى بكر الصديق رضي الله عنه:

* فمن عدل الصديق: أنه سوّى بين رعيته فى العطاء وقسمة المال، واعتبر أن سابقة بعضهم فى الخيرات إنما يثاب عليها فى الدار الآخرة.

فاروق الأمة عمر رضي الله عنه

كان الفاروق رضي الله عنه حريصًا على العدل غاية الحرص ولذا كان ينتقى (الولاة) انتقاءً فكان لا يعطى الولاية لمن يحرص عليها، بل كان يعطيها

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٢٧) كتاب الإمارة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٥٨٧) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها.

لأهل الزهد والعفاف والتقوى، وكان يحرص على أن يتابعهم ويوصيهم بالناس خيراً.

* عن أبي عثمان قال: استعمل عمر ﷺ رجلاً من بني أسد على عمل، فدخل ليسلم عليه فأتى عمر ببعض ولده فقبَّله، فقال الأسدي: أتُقبل هذا يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما قبلت ولداً لي قط!! فقال عمر: فأنت والله بأولاد الناس أقل رحمة، لا تعمل لي عملاً أبداً، فرد عهده أو قال: فما ذنبي إن كان الله - عز وجل- نزع الرحمة من قلبك، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، ثم قال: مزق الكتاب، فإنه إذا لم يرحم أولاده، فكيف يرحم الرعية؟! (١).

لله درك من إمام

* وذات يوم يتلقى الفاروق هدية من الحلوى، ولا تكاد توضع بين يديه حتى يسأل الرسول الذي جاء يحملها: ما هذا؟ قال: حلوى يصنعها أهل أذربيجان، وقد أرسلني بها إليك عتبة بن فرقد - وكان واليًا على أذربيجان - فذاقها عمر، فوجد لها مذاقًا شهيًّا، فعاد يسأل الرسول: أكُل المسلمين هناك يطعمون هذا؟ قال الرجل: لا... وإنما هو طعام الخاصة. فقال عمر للرجل: أين بعيرك؟ خذ جملك هذا وارجع به لعتبة، وقل له: عمر يقول لك، اتق الله، وأشبع المسلمين مما تشبع منه..!!

* * *

(١) أخرجه عبد الرزاق والبخاري في الأدب المفرد، وحسّن إسناده الشيخ الألباني (٧٢).

وأنا والله ما نسيتها بعد!!!!

وعن إياس بن سلمة عن أبيه قال: مر عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وأنا فى السوق وهو مارٌّ فى حاجة له، ومعه الدِّرة قال: هكذا أمط عن الطريق يا سلمة، قال: ثم خفقنى بها خفقة، فما أصاب إلى طرف ثوبى، فأمطت عن الطريق، فسكت عنى حتى كان فى العام المقبل فلقينى فى السوق فقال: يا سلمة أردت الحج العام؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فأخذ بيدى، فما فارقت يدى يده حتى دخل بى بيته، فأخرج كيسًا فيه ستمائة درهم فقال: يا سلمة استعن بهذه، واعلم أنها من الخفقة التى خفقتك عام أول، قلت والله يا أمير المؤمنين ما ذكرتها حتى ذكرتنيها! قال: وأنا والله ما نسيتها بعد.

يا عمر.. عدلت فأمنت فنمت!!!

أرسل قيصر روما رسولاً إلى عمر بن الخطاب لينظر أحواله ويشاهد أفعاله، فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال: أين ملككم؟ فقالوا: ما لنا ملك، بل لنا أمير قد خرج إلى ظاهر المدينة، فخرج الرسول فى طلبه، فرآه نائمًا فى الشمس على الأرض فوق الرمل الحار وقد وضع جبته كالوسادة والعرق يسقط من جبينه وقد بلَّ الأرض، فلما رآه على هذه الحال وقع الخشوع فى قلبه وقال: رجل لا يقر للملوك قرار من هيبته وتكون هذه حاله! ولكنك يا عمر عدلت فأمنت فنمت، وملكنا يجور فلا جرم أنه لا يزال ساهرًا خائفًا، أشهد أن دينك الدين الحق ولولا أننى أتيت رسولاً لأسلمت، ولكنى أعود وأُسلم».

* * *

فاروق الأمة... وأم الأيتام

فى ليلة من الليالى خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمشى فى شوارع المدينة المنورة ليطمئن على أحوال الرعية... وفجأة رأى منظرًا عجيبًا!!!... لقد رأى فى وسط هذا الظلام الدامس نارًا مشتعلة من بعيد.

فلما اقترب أمير المؤمنين عمر ومعه غلامه (اسمه أسلم) وجد امرأة قد أشعلت نارًا ووضعت عليه وعاءً كبيرًا.. وبجوارها أطفال صغار يصرخون من شدة الجوع.. فهذا يقول: يا أماه أريد طعامًا.. والآخر يقول: يا أماه سأموت من الجوع.. والثالث يصرخ ولا يستطيع أن يتكلم.. فصعق عمر لهذا المشهد وسألها عن سبب بكاء الأطفال.

فقالت: إنهم يبكون من شدة البرد والجوع.

فنظر عمر إلى الوعاء الذى وضعته على النار وقال لها: أليس فى هذا الوعاء طعام؟

قالت المرأة والدموع تسيل من عينيها: إنه ماء وضعته على النار حتى يسكتوا وينام وا... والله بيننا وبين عمر - ولم تعرف أن الذى يكلمها هو أمير المؤمنين عمر -.

فقال لها عمر: وما يُدرى عمر بحالك؟.

فقالت المرأة: سبحان الله.. يتولى أمرنا وينسانا.

* تألم عمر من كلام المرأة.. وتألم أكثر وأكثر من مشهد هؤلاء الأطفال اليتامى الذين يصرخون من شدة الجوع... فانصرف عمر

ومعه غلامه أسلم إلى مخزن بيت المال فأخـرج كيسًا من دقيق وقارورة فيها زيت وكيسًا فيه سكر وقال لغلامه أسلم: احمل على ظهرى.

فقال له أسلم: أحمل عليك أم أحمله عنك؟

فقال له عمر: احمل علىَّ... هل أنت ستحمل عنى ذنوبى يوم القيامة.

* وأسـرع عمـر إلى تلك الأم وأولادها ووضع أمامـها الدقـيق والزيت والسكر وأخرج لها جـزءًا يسيرًا لتصنع منه طعـامًا لأولادها وأخذ ينفخ فى النار حتى تشتعل أكثر وأكثر لينضج الطعام.

فلما نضج الطعـام أخذ عمر يقدم الطعـام للأطفال ثم ترك عندهم باقى الدقيق والزيت والسكر وقال لهذه المرأة: اذهبى غدًا إلى أمير المؤمنين وسوف تجدينى هناك إن شاء الله.

* وظل عمر ينظر إلى الأطفال حتى رآهم يضحكون فقال لغلامه أسلم: جئت وهم يبكون فأحببت ألا أنصرف إلا وهم يضحكون.

فذهبت إلـيه المرأة فى اليوم الـتالى فلما رأتـه وعرفت أنه أميـر المؤمنين فزعت وخافت.

فقـال لها عـمر: لا تخافى ولا تفزعى... ثـم أمر لها ولأولادها براتب تصرفه كل شهر من بيت مال المسلمين.

صفحة ناصعة من عدل عثمان رضي الله عنه

وها هى صفحة ناصعة البياض من عدله رضي الله عنه.

عـثمـان الرحـيم الذى تشع الرحمـة فى حـياته، وتـكون نبراسًـا لكل تصرفـاته، يغضب على خـادم له يومًا، فـيفـرك أذنه حتى يوجـعه... ثم سرعان ما يدعو خادمه ويأمـره أن يقتص منه فيفرك أذنه... ويأبى الخادم،

ويأمره فى حزم فيطيع: «اشدد يا غلام، فإن قصاص الدنيا أرحم من قصاص الآخرة».

وهذا على بن أبى طالب رضي الله عنه

قال على بن أبى طالب رضي الله عنه على المنبر فى يوم الجمعة: «أيها الرعاء، إن لرعيتكم حقوقًا: الحكم بالعدل، والقسم بالسوية، وما من حسنة أحب إلى الله من حكم إمام عادل»(١).

* وعن على بن الأرقم، عن أبيه قال: رأيت عليًا، وهو يبيع سيفًا له فى السوق، ويقول: من يشترى منى هذا السيف؟ فوالذى فلق الحبة لطالما كشفت به عن وجه رسول الله ﷺ، ولو كان عندى ثمن إزار ما بعته(٢).

* كان رضي الله عنه يمشى فى أسواق الكوفة وهو خليفة المسلمين، فيرشد الضال ويعين الضعيف ويلتقى بالشيخ المسن الكهل، فيحمل عنه حاجته، ولا يسكن قصر الإمارة ويقول: «قصر الخبال هذا، لا أسكنه أبدًا».

* لما طُعن رضي الله عنه، وهو يتهيأ للصلاة، بعد أن مر بشوارع الكوفة يوقظ أهلها لصلاة الفجر... قال لبنيه بعد أن علم قاتله: «أحسنوا نُزله وأكرموا مثواه، فإن أعش، فأنا أولى بدمه قصاصًا أو عفوًا، وإن أمت، فألحقوه بى، أخاصمه عند رب العالمين، ولا تقتلوا بى سواه، إن الله لا يحب المعتدين».

رحلة العدل مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

* إنه عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى الراشد الذى يقول فيه مالك ابن دينار: يقولون: مالك زاهد!.. أى زهد عندى؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز، أتته الدنيا فاغرة فاها، فتركها جملة!

---

(١) التمهيد لابن عبد البر (٢/ ٢٨٤).

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة (٨/ ١٥٧) فى المصنف.